www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

أنشئ ١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صُوًى «ومنارا» كمنار الطريق

٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٩ هـ ٢١ الثور سنة ١٣١٠ هـ ش ١٧ مايو سنة ١٩٣١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رسالة في حقيقة الصيام

وما يفطر الصائم بالنص والاجماع وما ألحق به من الرأي والاجتهاد

تتمة ماسبق في الجزء السابع

فصل

وأما الكحل والحقنة وما يقطر في احليله ، ومداواة المأمومة والجائفة ـ فهذا مما تنازع فيه اهل العلم، فمنهم من لم يفطر بشيء من ذلك ، ومنهم من فطر بالجميع لا بالكحل ، ومنهم من فطر بالجميع لا بالتقطير ، ومنهم من لايفطر بالكحل ولا بالتقطير ويفطر بما سوى ذلك.

والاظهر أنه لايفطر بشيء من ذلك . فان الصيام من دين المسلمين الذي يحتاج إلى معرفته الخاص والعام ، فلو كانت هذه الامور مما حرمها الله ورسوله في الصيام ، ويفسد الصوم بها لكان هذا مما يجب على الرسول بيانه ، ولو ذكر ذلك لعلمه الصحابة وبلغوه الامة كما بلغوا سائر شرعه . فلما لم ينقل أحد من أهل العلم عن النبي ﷺ في ذلك لاحديثا صحيحا ولا ضعيفا ولا مسنداً ولا مرسلا ـ علم أنه لم يذكر شيئا من ذلك . والحديث المروي في الكحل ضعيف رواه ابوداود في السنن ولم يروه غيره ولا هو في مسند احمد ولا سائر الكتب المعتمدة

قال ابوداود حدثنا النفيلي ثنا علي بن ثابت حدثني عبدالرحمن بن النعمان ثنا معبد بن هودة عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ «أنه امر بالاثمد المروح عند النوم وقال: ليتقه الصائم» قال ابوداود قال يحيى بن معين : هذا حديث منكر قال المنذري وعبدالرحمن قال يحيى بن معين ضعيف، وقال ابوحاتم الرازي: هو صدوق ،لكن من الذي يعرف اباه وعدالته وحفظه ؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكذلك حديث معبد قد عورض بحديث ضعيف وهو مارواه الترمذي بسنده عن أنس بن مالك قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : اشتكيت عيني افأكتحل وأنا صائم ؟ قال «نعم» قال الترمذي :ليس بالقوي،ولا يصح عن النبي ﷺ في هذا الباب شيء . وفيه ابوعاتكة. قال البخاري منكر الحديث

والذين قالوا ان هذه الامور تفطر كالحقنة ومداواة المأمومة والجائفة لم يكن معهم حجة عن النبي ﷺ ، وانما ذكروا ذلك بما رأوه من القياس ، وأقوى ماا حتجوا به قوله« وبالغ في الاستنشاق الا أن تكون صائما» قالوا فدل ذلك على ان ماوصل إلى الدماغ يفطر الصائم إذا كان بفعله،وعلى القياس كل ماوصل إلى جوفه بفعله من حقنة وغيرها سواء كان ذلك في موضع الطعام والغذاء أو غيره من حشو جوفه

والذين استثنوا التقطير قالوا : التقطير لاينزل الى جوفه ،وانما يرشح رشحا فالداخل إلى احليله كالداخل إلى فمه وأنفه .

والذين استثنوا الكحل قالوا: العين ليست كالقبل والدبر، ولكن هي تشرب الكحل كما يشرب الجسم الدهن والماء

والذين قالوا الكحل يفطر قالوا : انه ينفذ إلى داخله حتى يتنخمه الصائم لان في داخل العين منفذاً إلى داخل الحلق ،

وإذا كان عمدتهم هذه الاقيسة ونحوها لم يجز افساد الصوم بمثل هذه الاقيسة لوجوه:

(أحدها) ان القياس وإن كان حجة إذا اعتبرت شروط صحته فقد قلنا في الاصول إن الاحكام الشرعية بينتها النصوص أيضا ،وإن دل القياس الصحيح على مثل مادل عليه النص دلالة خفية، فاذا علمنا بان الرسول لم يحرم الشيء ولم يوجبه علمنا انه ليس بحرام ولا واجب. وان القياس المثبت لوجوبه وتحريمه فاسد ، ونحن نعلم أنه ليس في الكتاب والسنة مايدل على الافطار بهذه الاشياء فعلمنا انها ليست مفطرة

(الثاني) ان الاحكام التي تحتاج الامة إلى معرفتها لابد أن يبينها الرسول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ﷺ بيانا عاما، ولا بد أن تنقلها الامة، فاذا انتفى هذا علم أن هذا ليس من دينه وهذا كما يعلم انه لم يفرض صيام شهر غير رمضان، ولا حج بيت غير البيت الحرام، ولا صلاة مكتوبة غير الخمس، ولم يوجب الغسل في مباشرة المرأة بلا إنزال، ولا أوجب الوضوء من الفزع العظيم وان كان في مظنة خروج الخارج، ولا سن الركعتين بعد الطواف بين الصفا والمروة كما سن الركعتين بعد الطواف بالبيت، وبهذا يعلم ان المني ليس بنجس، لانه لم ينقل عن أحد باسناد يحتج به انه أمر المسلمين بغسل أبدانهم وثيابهم من المني مع عموم البلوى بذلك، بل أمر الحائض أن تغسل قميصها من دم الحيض مع قلة الحاجة إلى ذلك، ولم يأمر المسلمين بغسل أبدانهم وثيابهم من المني

والحديث الذي يرويه بعض الفقهاء «يغسل الثوب من البول والغائط والمني والمذي والدم» ليس من كلام النبي ﷺ، وليس في شيء من كتب الحديث التي يعتمد عليها ولا رواه أحد من أهل العلم بالحديث باسناد يحتج به. وروي عن عمار وعائشة من قولها

وغسل عائشة المني من ثوبه وفركها إياه لا يدل على وجوب ذلك، فان الثياب تغسل من الوسخ والمخاط والبصاق، والوجوب إنما يكون بامره، لاسيما ولم يأمر هو سائر المسلمين بغسل ثيابهم من ذلك، ولا نقل انه أمر عائشة بذلك، بل أقرها على ذلك، فدل على جوازه أو حسنه واستحبابه

وأما الوجوب فلا بد له من دليل

وبهذه الطرق يعلم ايضاً انه لم يوجب الوضوء من لمس النساء ولا من النجاسات الخارجة من غير السبيلين فانه لم ينقل احد عنه باسناد يثبت مثله انه امر بذلك، مع العلم بان الناس كانوا لا يزالون يحتجمون ويتقيؤن ويجرحون في الجهاد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وغير ذلك، وقد قطع عرق بعض اصحابه ليخرج منه الدم وهو الفصاد، ولم ينقل عنه مسلم انه امر اصحابه بالتوضؤ من ذلك،

وكذلك الناس لا يزال احدهم يلمس امرأته بشهوة وبغير شهوة ولم ينقل عنه مسلم انه امر الناس بالتوضؤ من ذلك، والقرآن لا يدل على ذلك، بل المراد بالملامسة الجماع كما بسط في موضعه. وامره بالوضوء من مس الذكر انما هو استحباب إما مطلقا وإما اذا حرك الشهوة. وكذلك يستحب لمن لمس النساء فتحركت شهوته ان يتوضأ، وكذلك من تفكر فتحركت شهوته فانتشر، وكذلك من مس الامرد او غيره فانتشر

فالتوضؤ عند تحرك الشهوة من جنس التوضؤ عند الغضب، وهذا مستحب لما في السنن عن النبي ﷺ انه قال «ان الغضب من الشيطان وان الشيطان من النار وانما تطفأ النار بالماء، فاذا غضب احدكم فليتوضأ» وكذلك الشهوة الغالبة هي من الشيطان والنار، والوضوء يطفئها فهو يطفيء حرارة الغضب. والوضوء من هذا مستحب. وكذلك امره بالوضوء مما مسته النار امر استحباب لان ما مسته النار يخالط البدن. فليتوضأ فان النار تطفأ بالماء. وليس في النصوص ما يدل على انه منسوخ، بل النصوص تدل على انه ليس بواجب، واستحباب الوضوء من أعدل الاقوال: من قول من يوجبه وقول من يراه منسوخا. وهذا أحد القولين في مذهب احمد وغيره،

وكذلك بهذه الطريق يعلم ان بول ما يؤكل لحمه وروثه ليس بنجس، فان هذا مما تعم به البلوى، والقوم كانوا أصحاب ابل وغنم، يقعدون ويصلون في أمكنتها وهي مملوءة من أبعارها، فلو كانت بمنزلة المراحيض كانت تكون حشوشا. وكان النبي ﷺ يأمرهم باجتنابها، وأن لا يلوثوا أبدانهم وثيابهم بها ولا يصلون فيها. فكيف وقد ثبتت الاحاديث بان النبي ﷺ وأصحابه كانوا يصلون في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مرابض الغنم، وأمر بالصلاة في مرابض الغنم، ونهى عن الصلاة في معاطن الابل فعلم أن ذلك ليس لنجاسة الابعار، بل كما أمر بالتوضؤ من لحوم الابل، وقال في الغنم إن شئت فتوضأ وإن شئت فلا تتوضأ، وقال « ان الابل خلقت من جن، وان على ذروة كل بعير شيطانا » وقال « الفخر والخيلاء في الفدادين أصحاب الابل، والسكينة في أهل الغنم »

فلما كانت الابل فيها من الشيطنة مالا يحبه الله ورسوله أمر بالتوضؤ من لحمها فان ذلك يطفيء تلك الشيطنة، ونهى عن الصلاة في اعطانها لانها مأوى الشياطين، كما نهى عن الصلاة في الحمام لانها مأوى الشياطين

فان مأوى الارواح الخبيثة أحق بان تجتنب الصلاة فيه وفي موضع الاجسام الخبيثة، بل الارواح الخبيثة تحب الاجسام الخبيثة.

ولهذا كانت الحشوش محتضرة تحضرها الشياطين والصلاة فيها أولى بالنهي من الصلاة في الحمام ومعاطن الابل، والصلاة على الارض النجسة، ولم يرد في الحشوش نص خاص لان الامر فيها كان أظهر عند المسلمين أن يحتاج الى بيان

ولهذا لم يكن أحد من المسلمين يقعد في الحشوش ولا يصلي فيها، وكانوا ينتابون البرية لقضاء حوائجهم قبل ان تتخذ الكنف في بيوتهم

واذا سمعوا نهيه عن الصلاة في الحمام او اعطان الابل علموا ان النهي عن الصلاة في الحشوش أولى وأحرى، مع انه قد روي الحديث الذي فيه النهي عن الصلاة في المقبرة والمجزرة والمزبلة والحشوش وقارعة الطريق ومعاطن الابل، وظهر بيت الله الحرام.

وأصحاب الحديث متنازعون فيه وأصحاب احمد فيه على قولين: منهم من يرى هذه من مواضع النهي ومنهم من يقول لم يصح هذا الحديث، ولم أجد في كلام احمد في ذلك اذنا ولا منعا، مع انه قد كره الصلاة في مواضع العذاب. نقله عنه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ابنه عبدالله للحديث المسند في ذلك عن علي الذي رواه أبو داود ، وانما نص على الحشوش واعطان الابل والحمام وهذه الثلاثة هي التي ذكرها الخرقي وغيره

والحكم في ذلك عند من يقول به قد يثبته بالقياس على موارد النص وقد يثبته بالحديث ، ومن فرق يحتاج إلى الطعن في الحديث وبيان الفارق ، وأيضاً المنع قد يكون منع كراهة ، وقد يكون منع تحريم

فاذا كانت الاحكام التي تعم بها البلوى لابد أن يبينها الرسول ﷺ بيانا عاما ولا بد ان تنقل الامة ذلك ، فمعلوم أن الكحل ونحوه مما تعم به البلوى كما تعم بالدهن والاغتسال والبخور والطيب. فلو كان هذا مما يفطر لبينه النبي ﷺ كما بين الافطار بغيره ، فلما لم يبين ذلك علم انه من جنس الطيب والبخور والدهن ، والبخور قد يتصاعد إلى الانف ويدخل في الدماغ وينعقد أجساما ، والدهن يشربه البدن ويدخل الى داخله ويتقوى به الانسان ، وكذلك يتقوى بالطيب قوة جيدة ، فلما لم ينه الصائم عن ذلك دل على جواز تطييبه وتبخيره وادهانه ، وكذلك اكتحاله . وقد كان المسلمون في عهده ﷺ يجرح أحدهم إما في الجهاد وإما في غيره مأمومة وجائفة فلو كان هذا يفطر لبين لهم ذلك ، فلما لم ينه الصائم عن ذلك علم انه لم يجعله مفطراً

(الوجه الثالث) اثبات التقطير بالقياس يحتاج الى أن يكون القياس صحيحا وذلك إما قياس على بابه الجامع ، واما بالغاء الفارق ، فاما أن يدل دليل على العلة في الاصل معدى لها إلى الفرع ، واما ان يعلم ان لافارق بينهما من الاوصاف المعتبرة في الشرع ، وهذا القياس هنا منتف

وذلك انه ليس في الادلة مايقتضي أن المفطر الذي جعله الله ورسوله مفطراً هو ما كان واصلا الى دماغ او بدن ، او ما كان داخلا من منفذ أو واصلا إلى الجوف ، ونحو ذلك من المعاني التي يجعلها أصحاب هذه الاقاويل هي مناط الحكم عند الله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ورسوله ، ويقولون ان الله ورسوله انما جعل الطعام والشراب مفطراً لهذا المعنى المشترك من الطعام والشراب ،ومما يصل الى الدماغ والجوف من دواء المأمومة والجائفة وما يصل الى الجوف من الكحل ومن الحقنة والتقطير في الاحليل ونحو ذلك ،

واذا لم يكن على تعليق الله ورسوله للحكم بهذا الوصف دليل كان قول القائل: ان الله ورسوله انما جعلا هذا مفطراً لهذا ـ قولا بلا علم ، وكان قوله « ان الله حرم على الصائم أن يفعل هذا» قولا بان هذا حلال وهذا حرام، بلا علم، وذلك يتضمن القول على الله بما لا يعلم ، وهذا لا يجوز

ومن اعتقد من العلماء أن هذا المشترك مناط الحكم فهو بمنزلة من اعتقد صحة مذهب لم يكن صحيحا، أو دلالة لفظ على معنى لم يرده الرسول ، وهذا اجتهاد يثابون عليه ، ولا يلزم أن يكون قولا بحجة شرعية يجب على المسلم اتباعها

(الوجه الرابع) أن القياس انما يصح إذا لم يدل كلام الشارع على علة الحكم(١) إذا سبرنا أوصاف الاصل فلم يكن فيها ما يصلح للعلة إلا الوصف المعين ، وحيث أثبتنا علة الاصل بالمناسبة أو الدوران أو الشبه المطرد عند من يقول به ، فلا بد من السبر ، فاذا كان في الاصل وصفان مناسبان لم يجز أن يقول الحكم بهذا دون هذا .

ومعلوم أن النص والاجماع أثبتا الفطر بالاكل والشرب والجماع والحيض والنبي ﷺ قد نهى المتوضيء عن المبالغة في الاستنشاق إذا كان صائما، وقياسهم على الاستنشاق أقوى حججهم كما تقدم، وهو قياس ضعيف ، وذلك لان (من) نشق الماء بمنخريه ينزل الماء إلى حلقه وإلى جوفه، فحصل له بذلك ما يحصل للشارب بفمه ويغذي بدنه من ذلك الماء ، ويزول العطش ويطبخ الطعام في معدته كما يحصل بشرب الماء ، فلو لم يرد النص بذلك لعلم بالعقل أن هذا من جنس الشرب فانهما

(١) يعني ان القياس انما يصح في حالة عدم دلالة نص الشارع على علة الحكم بالشرط الآتي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لايفترقان إلا في دخول الماء من الفم ، وذلك غير معتبر ، بل دخول الماء إلى الفم وحده لايفطر، فليس هو مفطراً ولا جزءاً من المفطر لعدم تأثيره، بل هو طريق إلى الفطر ، وليس كذلك الكحل والحقنة ومداواة الجائفة والمأمومة. فان الكحل لايغذي ألبتة ولا يدخل أحد كحلا إلى جوفه لا من أنفه ولا فمه ،وكذلك الحقنة لاتغذي بل تستفرغ مافي البدن كما لو شم شيئا من المسهلات ، أوفزع فزعا أوجب استطلاق جوفه وهي لاتصل إلى المعدة(١)

والدواء الذي يصل إلى المعدة في مداواة الجائفة والمأمومة لايشبه مايصل اليها من غذائه(٢) والله سبحانه قال(كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) وقال ﷺ « الصوم جنة » وقال « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع بالصوم»(٣)

فالصائم نهي عن الاكل والشرب لان ذلك سبب التقوى . فترك الاكل والشرب الذي يولد الدم الكثير الذي يجري فيه الشيطان ، إنما يتولد من الغذاء

«١» قال في المصباح :وحقنت المريض اذا اوصلت الدواء الى باطنه من مخرجه بالمحقنة بالكسر ، واحتقن هو ، والاسم الحقنة مثل الفرقة من الافتراق. ثم اطلقت على ما يتداوى به، والجمع حقن مثل غرفة وغرف — اهـ. فهذه هي الحقنة التي يقول شيخ الاسلام انها لاتفطر الصائم وقوله حق . ولكن يوجد في هذا الزمان حقن آخر وهو إيصال بعض المواد المغذية الى الامعاء يقصد بها تغذية بعض المرضى والامعاء من الجهاز الهضمي كالمعدة وقد تغني عنها،فهذا النوع من الحقنة يفطر الصائم فهو لايباح له الا في المرض المبيح للفطر «٢» الجائفة الجراحة التي تصل الى الجوف. والمأمومة الشجة في الرأس تصل الى ام الدماغ: ومداواتهما ليس فيه تغذية في الصيام

(٣) الحديث الاول رواه النسائي عن معاذ بهذا اللفظ . وروي بزيادة وبلفظ الصيام . والثاني متفق عليه من حديث أنس وصفية بدون «فضيقوا مجاريه بالجوع» وقد ذكره الغزالي في الاحياء بها ولم يذكر الحافظ العراقي لها أصلا ، ولم يذكرها الشيخ عند ما أعاد الحديث وزيادة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لا عن حقنة ولا كحل، ولا مايقطر في الذكر، ولا مايداوى به الأمومة والجائفة، وهو متولد عما استنشق من الماء لان الماء مما يتولد من الدم فكان المنع منه من تمام الصوم.

فاذا كانت هذه المعاني وغيرها موجودة في الاصل الثابت بالنص والاجماع فدعواهم ان الشارع علق الحكم بما ذكروه من الاوصاف معارض بهذه الاوصاف. والمعارضة تبطل كل نوع من الاقيسة ان لم يتبين أن الوصف الذي ادعوه هو العلم دون هذا

(الوجه الخامس) انه ثبت بالنص والاجماع منع الصائم من الاكل والشرب والجماع، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» ولا ريب أن الدم يتولد من الطعام والشراب، وإذا أكل أو شرب اتسعت مجاري الشياطين(١) وإذا صام ضاقت وانبعثت القلوب إلى فعل الخيرات التي بها تفتح أبواب الجنة، وإلى ترك المنكرات التي بها تفتح أبواب النار، وصفدت الشياطين فضعفت قوتهم وعملهم بتصفيدهم فلم يستطيعوا أن يفعلوا في شهر رمضان ما كانوا يفعلونه في غيره، ولم يقل انهم قتلوا ولا ماتوا، بل قال: «صفدوا» والمصفد من الشياطين قد يؤذي، لكن هذا أقل وأضعف مما يكون في غير رمضان، فهو بحسب كمال الصوم ونقصه، فمن كان صومه كاملا دفع الشيطان دفعا لا يدفعه الصوم الناقص، فهذه المناسبة ظاهرة في منع الصائم من الاكل والشرب، والحكم ثابت على وفقه وكلام الشارع قد دل على اعتبار هذا الوصف وتاثيره، وهذا المنع منتف في الحقنة والكحل وغير ذلك

(فان قيل) بل الكحل قد ينزل إلى الجوف ويستحيل دما. (قيل) هذا كما قد يقال في البخار الذي يصعد من الانف إلى الدماغ فيستحيل دما، وكالدهن الذي يشربه الجسم. والممنوع منه إنما هو مايصل إلى المعدة فيستحيل دما ويتوزع على البدن،

(١) وهي الشهوات

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ونجعل هذا وجها خامسا فنقيس الكحل والحقنة ونحو ذلك على البخور والدهن ونحو ذلك ، لجامع مايشتركان فيه من أن ذلك ليس مما يتغذى به البدن ويستحيل في المعدة دما ، وهذا الوصف هو الذي أوجب أن لاتكون هذه الامور مفطرة ، وهذا موجود في محل النزاع . والفرع قد يتجاذبه أصلان فيلحق كلا منهما بما يشبهه من الصفات

(فان قيل) هذا تطبخه المعدة ويستحيل دما ينمو عنه البدن لكنه غذاء ناقص فهو كالو أكل سما او نحوه مما يضره وهو بمنزلة من أكل أكلا كثيراً أورثه تخمة ومرضاً. فكان منعه في الصوم عن هذا أوكد لانه ممنوع عنه في الافطار وبقي الصوم أوكد، وهذا كمنعه من الزنى فانه اذا منع من الوطء المباح فالمحظور أولى .

(فان قيل) فالجماع مفطر وهذه العلة منتفية فيه ؟

(قيل) تلك أحكام ثابتة بالنص والاجماع فلا يحتاج اثباتها الى القياس ، بل يجوز أن تكون العلل مختلفة فيكون تحريم الطعام والشراب والنظر بذلك لحكمة، وتحريم الجماع والفطر به لحكمة، والفطر بالحيض لحكمة، فان الحيض لايقال فيه انه يحرم وهذا لان المفطرات بالنص والاجماع لما انقسمت الى أمور اختيارية تحرم على العبد كالأكل والجماع ، والى أمور لا اختيار له فيها كدم الحيض ، كذلك تنقسم علتها

(فنقول) أما الجماع فانه باعتبار انه سبب انزال المني يجري مجرى الاستقاءة والحيض والاحتجام - كما سنبينه ان شاء الله تعالى - فانه من نوع الاستفراغ لا الامتلاء كالأكل والشرب ، ومن جهة انه احدى الشهوتين فجرى مجرى الأكل والشرب وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح عن الله تعالى « الصوم لي وأنا أجزي به ؛ يدع شهوته وطعامه من أجلي » فترك الانسان مايشتهيه لله هو عبادة مقصودة يثاب عليها كما يثاب المحرم على ترك مااعتاده من اللباس والطيب ونحو ذلك من نعيم البدن ، والجماع من أعظم نعيم البدن وسرور النفس وانبساطها ، وهو يحرك الشهوة والدم والبدن أكثر من الاكل ، فاذا كان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم . والغذاء يبسط الدم الذي هو مجاريه ، فاذا أكل أو شرب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انبسطت نفسه إلى الشهوات ، وضعفت إرادتها ومحبتها للعبادات، فهذا المعنى في الجماع أبلغ، فانه يبسط إرادة النفس للشهوات، ويضعف إرادتها عن العبادات أعظم، بل الجماع هو غاية الشهوات وشهوته أعظم من شهوة الطعام والشراب، ولهذا أوجب على المجامع كفارة الظهار فوجب عليه العتق أو مايقوم مقامه بالسنة والاجماع، لان هذا أغلظ، وداعيه أقوى ، والمفسدة به أشد. فهذا أعظم الحكمتين في تحريم الجماع

وأما كونه يضعف البدن كالاستفراغ فذاك حكمة أخرى فصار فيهما كالأكل والحيض وهو في ذلك أبلغ منهما فكان افساده "صوم أعظم من افساد الأكل والحيض

*
* *

فنذكر حكمة الحيض وجريان ذلك على وفق القياس ، فنقول : إن الشرع جاء بالعدل في كل شيء . والاسراف في العبادات من الجور الذي نهى عنه الشارع وأمر بالاقتصاد في العبادات ، ولهذا أمر بتعجيل الفطر وتأخير السحور ونهى عن الوصال وقال «أفضل الصيام وأعدل الصيام صيام داود عليه السلام ، وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر اذا لاقى» فالعدل في العبادات من أكبر مقاصد الشارع ، ولهذا قال تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) الآية . فجعل تحريم الحلال من الاعتداء المخالف للعدل وقال تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) فلما كانوا ظالمين عوقبوا بأن حرمت عليهم الطيبات، بخلاف الامة الوسط العدل فانه أحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث

واذا كان كذلك فالصائم قد نهي عن أخذ مايقويه ويغذيه من الطعام والشراب فينهى عن اخراج مايضعفه ويخرج مادته التي بها يتغذى ، وإلا فاذا تمكن من هذا ضره وكان متعديا في عبادته لا عادلا

فالخارجات نوعان: نوع يخرج لايقدر على الاحتراز منه أو على وجه لايضره فهذا لايمنع منه كالاخبثين، فان خروجهما لايضره ولايمكنه الاحتراز منه أيضاً ، ولو استدعى خروجهما فان خروجهما لا يضره بل ينفعه . وكذلك اذا ذرعه القيء لايمكنه الاحتراز منه ، وكذلك الاحتلام في المنام لا يمكنه الاحتراز منه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأما اذا استقاء فالقيء يخرج ما يتغذى به من الطعام والشراب المستحيل في المعدة ، وكذلك الاستمناء مع ما فيه من الشهوة فهو يخرج المني الذي هو مستحيل في المعدة عن الدم فهو يخرج الدم الذي يتغذى به ، ولهذا كان خروج المني اذا أفرط فيه يضر الانسان ويخرج الدم

والدم الذي يخرج بالحيض فيه خروج الدم ، والحائض يمكنها ان تصوم في غير أوقات الدم في حال لا يخرج فيها دمها فكان صومها في تلك الحال صوما معتدلا لا يخرج فيه الدم الذي يقوي البدن الذي هو مادته ، وصومها في الحيض يوجب أن يخرج فيه دمها ، ويوجب نقصان بدنها وضعفها وخروج صومها عن الاعتدال ، فأمرت ان تصوم في غير أوقات الحيض

بخلاف المستحاضة فان الاستحاضة تعم الزمان وليس لها وقت تؤمر فيه بالصوم وكان ذلك لا يمكن الاحتراز منه كذرع القيء وخروج الدم بالجراح والدمامل والاحتلام ونحو ذلك مما ليس له وقت محدد يمكن الاحتراز منه . فلم يجعل هذا منافيا للصوم كدم الحيض ،

وطرد هذا اخراج الدم بالحجامة والفصاد ونحو ذلك فان العلماء متنازعون في الحجامة هل تفطر الصائم أم لا ؟ والاحاديث الواردة عن النبي ﷺ في قوله « أفطر الحاجم والمحجوم » كثيرة قد بينها الأئمة الحفاظ

وقد كره غير واحد من الصحابة الحجامة للصائم وكان منهم من لا يحتجم إلا بالليل . وكان أهل البصرة اذا دخل شهر رمضان أغلقوا حوانيت الحجامين والقول بان الحجامة تفطر مذهب أكثر فقهاء الحديث كاحمد بن حنبل واسحاق ابن راهويه وابن خزيمة وابن المنذر وغيرهم

وأهل الحديث الفقهاء فيه العاملون به أخص الناس باتباع محمد ﷺ والذين لم يروا افطار المحجوم احتجوا بما ثبت في الصحيح «أن النبي ﷺ احتجم وهو صائم محرم » وأحمد وغيره طعنوا في هذه الزيادة وهي قوله « وهو صائم » وقالوا انما ثابت انه احتجم وهو محرم. قال احمد قال يحيى بن سعيد قال شعبة لم يسمع الحكم حديث مقسم في الحجامة للصائم، يعني حديث شعبة عن الحكم عن مقسم عن ابن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عباس ان النبي ﷺ احتجم وهو صائم محرم

قال مهنا: سألت احمد عن حديث حبيب بن الشهيد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس أن النبي ﷺ احتجم وهو صائم محرم. فقال ليس بصحيح، وقد أنكره يحيى بن سعيد الانصاري، قال الاثرم سمعت أبا عبدالله رد هذا الحديث فضعفه وقال: كانت كتب الانصاري ذهبت في أيام المنتصر فكان بعد يحدث من كتب غلامه وكان هذا من تلك

وقال مهنا: سألت احمد عن حديث قبيصة عن سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الخ فقال: هو خطأ من قبل قبيصة. وسألت يحيى عن قبيصة فقال: رجل صدق، والحديث الذي يحدث به عن سفيان عن سعيد خطأ من قبله

قال مهنا سألت احمد عن حديث ابن عباس ان النبي ﷺ احتجم وهو محرم صائم فقال ليس فيه «صائم» انما هو «محرم» ذكره سفيان عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس احتجم النبي ﷺ على رأسه وهو محرم. وعن طاوس وعطاء مثله عن ابن عباس، وعن عبدالرزاق عن معمر عن ابن خثيم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس مثله، وهؤلاء أصحاب ابن عباس لا يذكرون صائما

(قلت) وهذا الذي ذكره الامام احمد هو الذي اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم، ولهذا أعرض مسلم عن الحديث الذي ذكر حجامة الصائم ولم يثبتا إلا حجامة المحرم. وتأولوا أحاديث الحجامة بتأويلات ضعيفة كقولهم: كانا يغتابان وقولهم أفطرا لسبب آخر. وأجود ماقيل ماذكره الشافعي وغيره أن هذا منسوخ فان هذا القول كان في رمضان واحتجامه وهو محرم كان بعد ذلك لان الاحرام بعد رمضان. وهذا أيضا ضعيف بل هو صلوات الله عليه أحرم عام الحديبية بعمرة في ذي القعدة، وأحرم من العام القابل بعمرة القضية في ذي القعدة، وأحرم من العام الثالث سنة الفتح من الجعرانة في ذي القعدة، وأحرم سنة عشر بحجة الوداع في ذي القعدة، فاحتجامه وهو محرم صائم لم يبين في أي الاحرامات كان، والذي يقوي ان إحرامه الذي احتجم فيه كان قبل فتح مكة، وقوله «أفطر الحاجم والمحجوم» فانه كان عام الفتح بلاريب هكذا في اجود الاحاديث

قال احمد: أنبأنا اسماعيل عن خالد الحذاء عن ابي قلابة عن الاشعث عن شداد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ابن اوس انه مر مع النبي ﷺ زمن الفتح على رجل محتجم بالبقيع لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان فقال « أفطر الحاجم والمحجوم » وقال الترمذي سألت البخاري فقال ليس في هذا الباب أصح من حديث شداد بن أوس وحديث ثوبان. فقلت ومافيه من الاضطراب؟ فقال كلاهما عندي صحيح ، لان يحيى بن سعيد روى عن أبي قلابة عن أبي اسماء عن ثوبان عن ابي الاشعث عن شداد الحديثين جميعاً

(قلت) وهذا الذي ذكره البخاري من أظهر الادلة على صحة كلا الحديثين اللذين رواهما ابو قلابة ـ الى ان قال ـ ومما يقوي ان الناسخ هو الفطر بالحجامة أن ذلك رواه عنه خواص اصحابه الذين كانوا يباشرونه حضراً وسفراً ، ويطلعون على باطن امره مثل بلال وعائشة ، ومثل اسامة وثوبان مولياه ، ورواه عنه الانصار الذين هم بطانته مثل رافع بن خديج وشداد بن اوس

وفي مسند احمد عن رافع بن خديج عن النبي ﷺ قال « أفطر الحاجم والمحجوم » قال أحمد اصح شيء في هذا الباب حديث رافع ، وذكر أحاديث «أفطر الحاجم والمحجوم» إلى أن قال: ثم اختلفوا على اقوال (احدها) يفطر المحجوم دون الحاجم ، ذكره الخرقي ، لكن المنصوص عن احمد وجمهور اصحابه الافطار بالامرين ، والنص دال على ذلك فلا سبيل إلى تركه (والثاني) انه يفطر المحجوم الذي يحتجم ويخرج منه الدم ، ولا يفطر بالاقتصاد ونحوه لانه لا يسمى احتجاما ، وهذا قول القاضي وأصحابه ، فالتشريط في الآذان هل هو داخل في مسمى الحجامة؟ تنازع فيه المتأخرون فبعضهم يقول التشريط كالحجامة كما يقوله شيخنا ابو محمد المقدسي ، وعليه يدل كلام العلماء قاطبة ، فليس منهم من خص التشريط بذكر ولو كان عندهم لايدخل في الحجامة لذكروه كما ذكروا الفصاد فعلم ان التشريط عندهم من نوع الحجامة ، وقال شيخنا ابو محمد هذا هو الصواب إلى أن قال :

(والرابع) وهو الصواب واختاره ابو المظفر ابن هبيرة الوزير العالم العادل وغيره انه يفطر بالحجامة والفصاد ونحوهما ، وذلك لان المعنى الموجود في الحجامة موجود في الفصاد شرعا وطبعا ، وحيث حض النبي ﷺ على الحجامة وأمر بها فهو حض على مافي معناها من الفصاد وغيره ، لكن الارض الحارة تجتذب الحرارة فيها دم البدن فيصعد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلى سطح الجلد فيخرج بالحجامة والارض الباردة يفور الدم فيها إلى العروق هربا من البرد، فان شبه الشيء منجذب اليه كما تسخن الاجواف في الشتاء وتبرد في الصيف، فاهل البلاد الباردة لهم الفصاد وقطع العروق. كما للبلاد الحارة الحجامة لافرق بينهما في شرع ولا عقل

وقد بينا أن الفطر بالحجامة على وفق الاصول والقياس، وانه من جنس الفطر بدم الحيض والاستقاءة وبالاستمناء. وإذا كان كذلك فبأي وجه أراد اخراج الدم افطر، كما انه بأي وجه أخرج القيء افطر سواء جذب القيء بادخال يده او بشم مايقيئه او وضع يده تحت بطنه واستخرج القيء، فتلك طرق لاخراج القيء وهذه طرق لاخراج الدم، ولهذا كان خروج الدم بهذا وهذا سواء في باب الطهارة، فبين بذلك كمال الشرع واعتداله وتناسبه، وان ماورد من النصوص ومعانيها فان بعضه يصدق بعضا ويوافقه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

وأما الحاجم فانه يجتذب الهواء الذي في القارورة بامتصاصه، والهواء يجتذب مافيها من الدم فربما صعد مع الهواء شيء من الدم ودخل في حلقه وهو لا يشعر والحكمة إذا كانت خفية أو مستترة علق الحكم بالمظنة كما أن النائم الذي يخرج منه الريح ولا يدري يؤمر بالوضوء، فكذلك الحاجم يدخل شيء من الدم مع ريقه إلى بطنه وهو لا يدري.

والدم من أعظم المفطرات فانه حرام في نفسه لما فيه من طغيان الشهوة، والخروج عن العدل، والصائم أمر بحسم مادته. فالدم يزيد الدم فهو من جنس المحظور. فيفطر الحاجم لهذا كما ينقض وضوء النائم وان لم يستيقن خروج الريح منه لانه يخرج ولا يدري وكذلك الحاجم قد يدخل الدم في حلقه وهو لا يدري.

وأما الشارط فليس بحاجم، وهذا المعنى منتف فيه فلا يفطر الشارط وكذلك لو قدر حاجم لا يمص القارورة بل يمتص غيره أو يأخذ الدم بطريق أخرى لم يفطر

والنبي ﷺ كلامه خرج على الحاجم المعروف المعتاد، وإذا كان اللفظ عاما وان كان قصده شخصا بعينه فيشترك في الحكم سائر النوع للعادة الشرعية من أن ماثبت في حق الواحد من الامة ثبت في حق الجميع. فهذا أبلغ فلا يثبت بلفظه مايظهر لفظا ومعنى انه لم يدخل فيه مع بعده عن الشرع والعقل، والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا آمين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نسخ الشريعة المحمدية لما قبلها

وبعثة محمد خاتم النبيين

للناس أجمعين (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وخاتم النبيين ، محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

أيها السادة

ان موضوع الليلة هو بيان نسخ الشريعة المحمدية لما قبلها من الشرائع ، وبعبارة أصح : بيان عموم بعثة نبينا محمد ﷺ ، وأن الله تعالى أرسله للناس أجمعين ، سواء أصحاب الاديان السماوية وغيرهم

وقبل الكلام على هذا الموضوع لابد لنا من تمهيد ندخل به اليه ، وهو وإن كان تمهيداً فيما يبدو ، إلا ان له اتصالا قويا بهذا الموضوع في الحقيقة ، حتى كأنه أحد أجزائه

(التمهيد) من المعلوم عندنا من الدين بالضرورة أن الله تعالى لم يبعث لرسل إلا لاصلاح العالم بمعرفته وعبادته وحده واجتناب عبادة الطاغوت ، وإيضاح الطريق اليه ، لإتمام المجازاة بين العباد يوم الرجوع اليه ، كما كانت البداية منه . يوافقنا على هذا أصحاب الاديان الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولقد آزر أصحاب الاديان في ذلك العقل الانساني ، المجرد عن أهواء النفس وميلها الشهواني ، والعقل في كل عصور التاريخ من اليوم الذي ترعرع فيه وقوى على الكفاح والنضال لم يختلف مع

(*) محاضرة لفضيلة الاستاذ الشيخ علي سرور الزنكلوني في جمعية الشبان المسلمين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أصحاب الاديان في أصل الفكرة ، إذ العقل مهما تعرجت به السبل لا يستطيع أن ينكر حاجة البشر إلى الاصلاح والمصلحين ، كما انه قد وقف خاضعاً مبهوتا أمام معجزات الانبياء في عصورهم ، وبعد انقراض عصورهم . بل العقل البشري في عصور الفلسفة الاولى وهي منعزلة عن الاديان تمام الانعزال وغير متأثرة بها ، قد عرف واجب الوجود ، وخطا خطوة واسعة في الشعور باليوم الآخر وهو من الغيب المحض ، فرأى أن الحكمة تأبى على مبدع هذا الوجود وقد تفاوت فيه أفراد الانسان: سعادة وشقاوة ، ولذة وألما ، وظالمية ومظلومية — أن ينتهي العالم بعد ذلك التفاوت البليغ إلى العدم المحض ، وقرر انه لابد من حياة وراء هذه الحياة تتجلى فيها مظاهر العدل والحكمة بين أفراد الانسان

أيها السادة

ان هذا النوع الانساني الذي أرسل الله له الرسل مبشرين ومنذرين لابد له من بداية ، ولابد أن تكون هذه البداية فرداً ، وقد أجمع أصحاب الاديان السماوية على أن الفرد الذي تناسل منه هذا النوع الانساني هو آدم عليه السلام ثم زوجه حواء . ولا يهم بحثنا أن تكون حواء مخلوقة من طينة آدم على قانون تخليقه ، أو من جزء من أجزائه بعد انتقاله الى الطور الانساني، كما لا يهم العقل أيضا هذا البحث، لان بداية العالم من الغيب المحض، فلا سبيل الى الوصول الى الغيب من طريق المشاهدة والتجارب المادية ، ولا من طريق البحث والاستنتاج، لان الغيب المحض لا يكون الاستنتاج فيه اكثر من حدس وتخمين ، وإذاً لا يمكن الوصول الى معرفة الانسان الاول خلقا وتعليما إلا من طريق الحق ، طريق الوحي المنزل على الانبياء المؤيدين بالمعجزات ، ولقد اعلمنا الله تعالى على لسانهم رحمة منه بنا حيث لم يتركنا حيارى فيما يمسنا ، ونعجز عن الوصول اليه بعقولنا ، ان آدم عليه السلام أبو البشر ، وانه خلقه من طين ومن صلصال من حمأ مسنون . ولا بدع في ذلك فانسان اليوم يتخلق من الطين بوسائط ، وبعض العلق (الدود الصغير) يتخلق منه بلا واسطة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن هذا تعلمون قيمة القول بأن القرد هو أصل الانسان، على أن هذا القول لا يزال في دور البحث العلمي عند أصحابه، وهم أنفسهم يقولون إن هناك حلقة مفقودة لا يتم لهم هذا البحث الا اذا عثروا عليها، ونحن نقول لهم لا نؤمن بما تقولون وان عثرتم عليها، لان بحثكم على فرض تمامه مبني على القياس والاستنتاج لا على المشاهدة واليقين. وقد قال الله تعالى وقوله الحق الذي يذعن له العقل، (ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً) فأي عاقل بعد هذا يستبيح لنفسه أن يترك يقينيات الاديان الى ظنون الباحثين، وإذا أباح العقل للباحث أن يتأثر بنتائج بحثه، وعذره فيه لانه منتهى علمه، لانه يبحث بعيداً عن كل دين، فأي عقل يبيح لغير الباحث من أصحاب الاديان أن يقلده فيه ويتغنى بما يخالف جميع الاديان؟ وأي سقوط وراء من يقلد عن جهل من لا ضمان له، ويترك عظمة الاديان وفيها الضمان كل الضمان بالمعجزات وشهادة التاريخ

أيها السادة

ان الدعي الذي ينتسب لغير أبيه حقير في ذاته، ممقوت عند الناس، وإن انتسب الى من هو أكرم من أبيه، فكيف اذا انتمى الى من هو دون أبيه بمراحل؟

أيها السادة: لست الآن بصدد البحث عن إثبات مبدأ الخليقة، ولا عن إثبات إرسال الرسل وحكمة ارسالهم، وانما جر الى ذكر ذلك التمهيد لاغير، لان موضوع الليلة خاص بأصحاب الاديان، وكلهم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وليست المسألة أكثر من موضوع يطرح أمام العقل ليبحثه، وينصف من نفسه

واني لم أعتمد في هذا البحث إلا على أدلة العقل المستندة الى نظام الوجود الثابت لئلا يقال (كل فتاة بأبيها معجبة) ومن واجب اصحاب الاديان أن يبحثوا عن الحق حيثما كان، ويطلبوا السعادة أينما وجدت، ولا يليق بهم أن يجعلوا الاديان من أعراض الحياة الدنيا وأسباب تنازع البقاء فيها، لان الاديان ما نزلت الا للسعادة الشاملة ودوام البقاء في الآخرة. وقد انحرف أصحابه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاديان جميعاً عن هذه الغاية السامية ، فتعصب كل لتراثه الموروث أياً كان مركزه من الحق، كي لا يضيع عليه شيء من مظاهر الدنيا وتقاليدها ، ولم يقف الامر عند التنازع في ذات الاديان بل انتقل الى تنازع أصحاب المذاهب المختلفة من دين واحد لهذه الغاية الكاذبة، مع ان الدين يجب ان يكون كله لله وان يبحث فيه دائما عن اقوم الطرق الموصلة الى الله

وقد اخترت هذا الموضوع لانه يمس حياة العالم الدينية والعقلية ويتصل بسعادتهم الابدية كل الاتصال . وها انا ذا الآن بتوفيق الله تعالى داخل على اصل الموضوع

ايها السادة

ان الانسان في طوره الاول بسيط وساذج ، وهو في حياته الاولى أشبه بالطفل بعد ولادته ، وقد قال الله تعالى (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) وإذا كان الطفل في حياته الاولى لا علم له بشيء أصلا بشهادة الدين والحس وقد تولد من انسان عاقل مرت به أحقاب طوال في الانسانية المعبدة المهذبة ، فكيف يكون حال الانسان الاول وقد انفصل عن الطينة الصماء وعن ظلام الوجود(؟) وقد تعلمون ان استعداد المنفصل عن انسان، أقوى من استعداد المنفصل عن جماد أو حيوان . لهذا يجب علينا ان نبحث بحثا هادئا في هذا الانسان الذي وصل أبناؤه الى ما نرى ونسمع من العلم والعمل والرقي في أساليب الحياة المتشعبة الاصول والفروع فنقول :

إذا كان من الجائز عقلا أن نحيل أمر حياته المادية ونظام معيشته على الغرائز الحيوانية كما هو الشأن في بقية الحيوانات لان دواعي النفس كلها مركوزة في الغريزة الحيوانية ومشتهياتها على ظهر الارض — فليس من الجائز عقلا أن نحيل أمر تنظيم جزئه الانساني على قانون الغرائز الحيوانية ، لانها لا تعدو المادة ولا تتجاوز وظائف حياتها الحيوانية ، والنفس الناطقة وغريزتها العقلية فوق الحيوانية : هذه سماوية وتلك ارضية ، هذه نورانية وتلك ظلمانية ، وعالم النور غير عالم الظلمة . ومن غير المعقول أن يستمد عنصر السماء من عنصر الارض ، ولو أن في الارض عالما آخر أرقى من الانسان في بداية نشأته لجاز أن نحيل عليه امر تنظيم حياته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العقلية والادبية وتلقي مباديء العلوم المختلفة . وقد علمتم ان الفطرة الحيوانية لاتهدي الا الى سبيلها الحيواني، والا لارتقى الحيوان الاعجم الى مستوى الانسان، بل لو جاز ان يكون قانون الفطرة وحده هو الذي وضع لآدم نظام حياته الاولى وهو الذي ارشده الى الحق والباطل والى الخير والشر لكانت آثار العقل من الطهارة وحب الخير والسلام العام مثلا متمشية في الرقي جنبا لجنب مع الرقي المادي، مع أن دليل الحس قائم على اطراد الرقي المادي، واضطراب الرقي الروحي الذي لا يتم بدونه كمال الانسان ، بل لا أبالغ اذا قلت إن الرقي المادي قد طغا على العقل طغيانا كبيراً حتى أفقده آثاره الروحية التي تظهر في طهارة النفس ، ومتانة الاخلاق

على انا لو تساهلنا وقلنا ان الانسان الاول قدهدته فطرته الى وضع المباديء الاولى لنظام حياته العقلية ، لما كان لنا مندوحة عن القول بان الفطرة يجب أن تسبق بنموذج تقيس عليه ، ونبراس تسير على ضوئه . وليس ثمة من يهديها من العوالم. والجاهل لايستمد علمه من نفسه، فمن كان ياترى مصدر ذلك المقياس، ومطلع هذا النبراس ؟

مهما قلب العقل طرفه يمنة ويسرة في صفحات الوجود لايمكنه أن يهتدي إلى المعلم الاول للانسان الاول من عالم المادة . ولا بد أن يرجع أخيراً إلى ماجاء به الانبياء ونطق به القرآن الكريم حيث قال (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالاتعلمون *وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم* قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون)

ثم ان مباديء التعليم الاولي للانسان الاول لاتعدو شعوره بنفسه ،وشعوره بخالقه ، وشعوره بالمسئولية امام خالقه . وهذه الامور الثلاثة تكاد تكون أساسا مضطرداً في كل تشريع إلهي ، وان آخر تشريع لم يزد في جوهر هذه الاسس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عن أول تشريع . ولذلك كانت هذه الاسس عماد التشريع الالهي وعناصره القوية التي لايعدو عليها تطاول الازمان ، فأصول الشرائع الالهية منحصرة في تصحيح الاعتقاد ، وفي حفظ النظام . ومعرفة أقرب الطرق إلى الله وأوضحها للسير فيه ، وهذا هو مايشير الله اليه بقوله (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ماتدعوهم اليه ، الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب)

الا ان هذه الاصول لم يخاطب بها العقل ولم يكلف بتنفيذها الانسان في أطواره المختلفة بنسبة واحدة . فالعقل في بداية حياته غير العقل في نضوجه وغيره فيما بينهما من الاطوار ، والحكمة قاضية بأن يكون لكل طور حاجات خاصة به ، ولبيانها له أسلوب خاص في الخطاب وطرق الاستدلال للاقناع ، كذلك الانسان في حياته الماشية الحيوانية ومحيطه المادي له أطوار كثيرة تختلف بحسبها حاجاته وطرق علمه بها ، والغرض من الشرائع الالهية اصلاح النفس وتهذيبها وكبح جماح قوتيها السبعية والشهوية ، ومعلوم ان عوامل قوى النفس كامنة فيها يثيرها مايحيط بها من زخرف ومتاع ، ولا ينكشف خلق سبعي او شهوي في انسان إلا إذا أثاره محيطه المادي ودواعي الشهوات المادية لم تتوفر للعالم في عصر واحد

واذا تبين ان التشريع الالهي مرتبط بما ذكرنا من الاطوار المختلفة باختلاف الاعصار . تبين ان اختلاف التشريع باختلاف العصور المتطاولة ضروري لاصلاح البشر ، وان التشريع المتقدم لايصلح في تفصيله للزمان المتأخر ، لان التشريع اذا لم يكن وفق الاستعداد وطبق الحاجات ضاع وضاعت معه حكمته ، ولو ان أصحاب الاديان جميعا تجردوا عن الشهوات والتنافس في الدنيا وبحثوا عن طريق الله الواضحة وعن الحق ليصلوا إلى الله على الوجه الذي دعاهم به ، لو انهم فعلوا ذلك لاهتدوا إلى قانون نظام النشوء والارتقاء في الاديان السماوية ، كما اهتدى اليه الماديون في القوى والعناصر المادية ، ولأصبح من المسلمات في عقول البشر ومتعارف حياتهم أن شريعة نزح لاتصلح لقوم ابراهيم ، وأن شريعة موسى وعيسى لاتصلح لزمان محمد ، وان أوضح دليل على ذلك أن اليهود والنصارى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لايسيرون على المسيحية ولا على اليهودية لامن قرب ولا من بعد ، وان أصحاب هاتين الديانتين في العالم انقلبوا ماديين أكثر من الطبيعيين

إن علم وحدانية الخالق وكماله وان المبدأ منه والمنتهى اليه الذي هو تصحيح الاعتقاد ـ انما يعتمد على أدلة الوجود وعلى مقدار مافي العقل من يقظة وانتباه

وقد كان العقل وأدلة الوجود في أزمنة الانبياء السابقين ، دون ماارتقت اليه في زمان البعثة المحمدية قوة واستعداداً ، اذ كان الانسان بطول الكفاح العقلي قد تم او قارب التمام . كذلك ارشاد العالم إلى الطريق الموصل إلى الله وإلى كيفية السير فيه وهذا النوع من الارشاد يعبر عنه بكلمتين: تنظيم صلة العبد بالله ، وتنظيم صلة العباد بعضهم ببعض ، ومجال القول فيها واسع المسافة بعيد الغور ، مترامي الاطراف . خصوصا مايتعلق بالناس في مصالحهم ومتاجرهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم وآدابهم وأخلاقهم ، فكما ان أسلوب الاستدلال على الله والخوف منه والرجاء فيه تابع لدرجة انتباه العقل ويقظته ، ومرتبة الارتقاء الانساني ، كذلك صور العبادات ، إذ حكمة مشروعية العبادة تنمية معرفة النفس بخالقها ومالكها ، وتقوية ملاحظتها لما يجب من الشكر له ، وانتباهها لبواعث الخوف منه والرجاء فيه ، ومراتب العقل ودرجات استعداد النفس متفاوتة تفاوتا عظيما في العصور المتباينة فلكل استعداد أسلوب خاص وتأثير خاص ومن هنا كانت صور العبادات وأشكالها متفاوتة وتفاوتها ضروري ، وإن اتحدت في الغرض ، فرب عصر يتأثر بصورة وشكل ، لايتأثر به عصر آخر ، ورب انسان يطمئن قلبه لحال وتخضع عندها نفسه ولا تتحرك من حال آخر

ثم لننتقل من التشريع الخاص بالخالق إلى التشريع المتصل بافراد الانسان وجماعاته وشعوبه . وما يجب على الجميع من مراعاة الحقوق والمرافق في الانفس والاموال والاعراض ، وما يجب أن يفعل عند المخالفة ليتم السلام العام من جهة ولتتعبد طريق الله من جهة أخرى . وهذا النوع أدق أنواع التشريع وأخطرها في حياة البشر . بل هو المحور الذي كان يدور عليه وحده نظام التغيير والتبديل فلمتو الزمان وتمرده وتغلب القوة السبعية فيه أحكام تناسبه ، واللام التي بالغت في حب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدنيا وتغلغلت فيها آثار الشهوة البهيمية والوحشية عقوبات تناسبها ، ولذلك كانت عقوبة الله للامم المتمردة المحق والخسف وعذاب الاستئصال ، ولم تكن عبادتهم أكثر من رموز بسيطة وملاحظات ، لان العبادة في صورتها التامة على الحقيقة لباس إلهي يخلعه الله تعالى على من جاوز حدود الحيوانية الهوجاء ، ووقف في مصاف الانسان

ولهذا لو قارنا بين روح التشريع في بني اسرائيل وروح التشريع في عصر المسيحية لوجدنا الفرق واضحا ، لان حياة بني اسرائيل في عصر موسى عليه السلام كانت حياة مشادة في خبث وتمرد ، وحياة المسيحية حياة انكسار وتواضع ، ولهذا كانت تكاليف بني اسرائيل أشق ، وعقوباتهم أشد ، والعقوبات دائما تتبع الجرائم ، والتكاليف الشرعية تتبع حالة النفوس . فأي مؤرخ طبيعي وأي عقل انساني يستطيع أن يقول ان العالم في عصر محمد هو العالم في عصر موسى وعيسى خلقا واستعداداً ؟ فالعرب كانوا في سذاجة وبساطة وجهالة تامة بالشرائع وقد بلغ منهم التنافر وتنازع البقاء أقصى حدوده ، ولكنهم مع ذلك كانوا أصحاب فصاحة لسان ، وذكاء جنان ، وفطرة سليمة ، وحرية تامة ، واليهود كانوا على العكس من أمر العرب ، والنصارى ورثوا من اليهود الشيء الكثير ، واليهودية والمسيحية بتطاول الزمان والحروب المستعرة ، والحرص على متاع الدنيا لعبت بهما أيدي الرؤساء والحكام

وقد بعث محمد ﷺ للعرب ولغير العرب ، ودعا الناس كافة فاستجاب له العرب وغير العرب . فأي دين من الاديان السابقة يصلح نظاما ويحقق حياة سعيدة لهذه التشكيلة العجيبة التي كانت عناصرها متباينة متنافرة ؟ تفضل الله على نبيه محمد فجمعها برباط واحد قوي ، ومكن له دينه في الارض رغم تألب العالم عليه (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)

وبعد هذه الادلة الواضحة والبيانات الصارخة هل يبقى شك في عموم بعثة نبينا محمد ﷺ وان شريعته ناسخة لما قبلها من الشرائع لمقتضيات الزمان وتجديد الاصلاح ؟

فان قال قائل اذا كان الامر على ما بينت وقد تطاول العهد بين العصر المحمدي وهذا العصر فمن الواجب تجديد التشريع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(فالجواب) انا نتكلم الآن عن التشريع الالهي النازل على الانبياء المؤيدين بالمعجزات ، فلو علم الله ان التشريع المحمدي أصبح غير صالح لحياة العالم لرحم العباد برسول جديد وتشريع جديد .

أما ان العالم يترك شرائع الانبياء إلى شرائع البشر المضطربة المختلة التي لا تتفق في الامم ولا تستقر على حال واحد - فأمر لا يمكن أن يصلح به حال البشر . على أن الشريعة المحمدية قد وضعت من الاسس في الكتاب والسنة مافيه الكفاية . اما ماترونه غير صالح من أحكام الفقهاء والعلماء فليس مرجعه ضعف الاساس ، ولا رخاوة الاصل ، وانما مرجعه جهالة الباحثين ، وشهوات المسيطرين

ولقد نبتت طائفة في هذا الزمان - وكثيراً ماينبت مثلها في عصور الانتقال - تنادي بوجوب سير الشريعة الاسلامية بجانب نظام المجتمع المادي الحاضر . وهذه الطائفة سامحها الله إن لم تكن خبيثة فأقل مايقال فيها انها جاهلة بالاسلام ، فمن واجب الباحث الجاد غير المتشهي ان يكون عالما تمام العلم بطرفي مايبحث فيه وباساليب الاستدلال عليه على طريقة البحث العلمي في مثله ، وإلا كان صاحبه شهوة وصاحب الشهوة لايلتفت اليه

ان حياة العالم الآن حياة مادية تنحدر بسرعة في طريق الاهواء والشهوات ، فلو جارى الاسلام انحدار الامم فأباح الزنا للاعزب ومن لا كسب له ولجيوش الحروب ، واباح الرقص لمتاع النفس ، وأباح الربا لاستكمال مشتهيات الحياة ، او لمزاحمة الاجانب ، وفي مكنة المسلمين أن يزاحموهم ويقفوا مثل وقفتهم بثروتهم الطبيعية والاقتصاد الديني ، وهكذا وهكذا ، لو اتسع الاسلام لذلك كله لكان دين مادة لادين خلق ، واصبح من أوضاع البشر لا من شرائع الله ، ومع ذلك ماهو الاساس الاسلامي الذي جرب في الامم الاسلامية وغيرها ثم فشل وتبين خطؤه ؟ ومن ذا الذي وازن بعقله السليم المنصف بين حكم اسلامي ونظيره في تشريع وضعي ثم اقام البرهان الصحيح على ضعف التشريع الاسلامي وخذلانه ؟ ثم ماهو الامر الجوهري الذي طعن به أعداء الاسلام عليه مع تألبهم الشديد وعداوتهم المستحكمة من أول أمره إلى اليوم ، على كثرتهم وقوتهم ، ووفرة أساليب حروبهم ، وضعف المسلمين وتخاذلهم ، ثم اثبت العقل في وضوح انهم محقون والاسلام مبطل ؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انهم والحمد لله مع هذا كله لم ينالوا من دين الله ومن مبادئه الثابتة مايشفي غلتهم ، ويبلغهم غايتهم ، وان نالوا من المسلمين بحكم نشاطهم المادي الشيء الكثير ،

وقد كان فضل الله على محمد ﷺ عظيما أن لم يجعل معجزته الدائمة من جنس معجزات الانبياء ، بل هي كتاب خالد يصارع العقل في كل زمان ، فيصرعه بالحجة والبرهان ، (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

ان العالم المادي لا يزن الاسلام الا بحالة المسلمين ، مع أن الاسلام دين وخلق ومبادىء ، ومثلها يجب أن يوزن بميزان العلم والعقل ، لا بميزان أهلها المضيعين لها ، على انا لو وازنا بين المسلمين وغير المسلمين او بين الماديين وغير الماديين لوجدنا ضعف المسلمين أجدى على الانسانية من نشاط المادة ، فليست المادة إلا آلات ظلم وافساد وتخريب ، وانها في رقيها لأشبه بمخالب الحيوانات المفترسة وأظفارها وأنياب الكلاب الكلبة ، وان من الجهل الفاضح أن يتحدث ضعفاء العالم وضعفاء العقول بان اوربا تخدم الانسانية ، كلا والله كاذبة ، ومن العدل أن يقال ان اوربا المسيحية واليهودية او بعبارة اصح اوربا اللادينية إنما تخدم القوتين السبعية والشهوية ، ان الانسانية سلام واخاء وتعاطف في الخير لا في جواذب المادة ، وتناصر في الحق لا تغلب على الضعيف بل الحيوان الضعيف أجدى على الانسانية من الحيوان الشرير ،

لهذا أرجو المسلمين الذين يسيرون وراء كل ناعق مادي أن يخلصوا لعقولهم ويفرقوا بين الرقي الانساني والرقي المادي لتحقيق الاهواء والشهوات ، لان ميزة الانسان في حسن تقديره ، وقوة تفكيره ، وسبره غور الحقائق

واني قبل أن أبرح مكاني هذا أرجو الشبان المسلمين أن لا ينخدعوا في دينهم باتباع المذبذبين الذين لا علم لهم بالمادة ولا بالدين ، وأن لا يفروا من دينهم بغضا في قوم ادعوا معرفتهم به وحمايتهم له ورعايتهم لحقوقه زورا وبهتانا ، فالحلال بين والحرام بين ، ولا يخلو قطر اسلامي من علماء صادقين مخلصين ، كما ارجو أن اوفق في محاضرة اخرى لبيان عظمة القرآن وشخصية محمد ﷺ

واني اشكر جمعية الشبان المسلمين على هذه النهضة المباركة واسأل الله لها السداد والتوفيق

علي سرور الزنكلوني المدرس بالازهر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(تعليق المنار)

ان أسس التشريع الاسلامي ، قد قيدت البشر بقواعد من الحق والعدل والرحمة والفضل وحقوق الروح والجسد الصالحة لكل عصر تكفل لهم كمال الانسانية وسعادة الحياة بما أقاموها ، وأباحت لهم التشريع الاجتهادي فيما يتجدد لهم من الاقضية والمصالح التي تختلف باختلاف الأزمنة والامكنة مع المحافظة عليها ، وبهذا لم يكونوا محتاجين الى تشريع سماوي جديد بعدها . وقد كان من عدم تقيدهم بها هذه الفوضى السياسية والأدبية والاجتماعية والثورات الحكومية التي تهدد العالم المدني بحرب شر من حربها الاخيرة تدك معالم العمران دكا ، وإلحاد (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) فقد وردت الانباء بأن دولة البلشفية الروسية ، تعد سبعة عشر مليونا من الجند لغزو أوربة الرأسمالية على مابين دول أوربة من الاحقاد والضغائن واستعداد بعضها لتدمير بعض ، وانهماك أممها في الفسق والفجور ، والاباحة والشرور ، وتلك القواعد الاسلامية قد بيناها في المنار وتفسيره ، وفي رسائلنا المقتبسة منهما خلاصات من ذلك وهي (١) خلاصة السيرة المحمدية وكليات الدين الاسلامي وحكمه (٢) الخلافة الاسلامية (٣) يسر الاسلام ، والتشريع العام .

ولو ان دول أوربة تدين الله تعالى بما شرعه الله تعالى في كتابه القرآن من وجوب حفظ العهود والمواثيق واجتناب جعلها دخلا باطنها ينقض ظاهرها ، لنجاهم ذلك من كل مابينهم الآن من التنازع والتخاصم في معاهدة الحرب الكبرى وفروعها ، وهاك بضع آيات من سورة واحدة كافية لصلاح البشر إذا دانوا الله بها وهي (١٦ : ٩٠ إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون (٩١) وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، إن الله يعلم ماتفعلون (٩٢) ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ، أن تكون أمة هي أربى من أمة ، إنما يبلوكم الله به ، وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بيان بشأن المجالس الحسبية

حادث تعبير البربر بشكر في مصر (١)

المجالس الحسبية من المؤسسات الشرعية الاسلامية في هذا القطر، فهي أصلا من اختصاص القاضي الشرعي وحده، ولظروف لاتريد بالاسلام والمسلمين خيراً ضم اليه فيها عضو ادارة وعضو أعيان، مع بقاء كل مظاهر الاختصاص فيها للقاضي الشرعي، فكانت رسومها ترد الى المحاكم الشرعية، وكان القاضي الشرعي يحضرها ومعه كاتبه ومضبطته ليضبط كل القرارات التي تصدر متوجة باسمه، محالة عليه من رئيس محكمته، فألغيت كل هذه المظاهر الشرعية شيئا فشيئاً، ولم تفاجأ بها هذه الامة الاسلامية حتى لاتحس بما يبيت لشريعتها، وقد كان أحمد خشبة باشا رأى مافي هذه المجالس من حال غير قارة، ومظاهر غير سارة، فاستشار فيها القضاة جميعاً، فكان أغلب الرأي في غير صالح وجودها على تلك الحال: ووفقا لغالبية الرأي ألغى الادارة الحسبية وضمها للادارة الشرعية، وبذلك نجت ميزانية الدولة من عبء باهظ، وقد اتفق رأي إلغائها مع اسلامية البلد وزعامتها في مظاهر الاسلام، وان اهانة القاضي الشرعي بجعله مرءوسا دائما في عمل هو من اختصاصه دون سواه شيء يمجه تقليد البلد، وأدبه مع علماء دينها وقضاته، فضلا عن انه ليس عدلا، بل ينطوي على مقدار ظاهر من العصبيه ضد قضاة المسلمين، وزيادة على ماتقدم فان غيرة المسلمين على أحكام دينهم لم يخف عليها ان القاضي الشرعي انما أحيط بعضوين في هذه الهيئة لاصلة لهما بالشريعة الاسلامية لاجل شل أحكامها في هذه المجالس، وان ذلك إنما يراد به أن يألف الشعب الزراية بالاسلام وعلمائه وقضاته، ويألف التنوع من الشريعة بعضو مشلول مغلول لايملك لحكمه تنفيذاً حتى تحين غفلة من الشعب الاسلامي فيبتر هذا العضو نهائيا بعد أن تكون هذه المجالس قد امتصت كل اختصاص المحاكم الشرعية، وكل ذلك تمهيد لالغاء هذه

(١) لأحد قضاة الشرع الشريف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المحاكم نفسها وهو اليوم الذي يتم فيه انهزام الاسلام في داره على يد أبنائه والعياذ بالله

واتفق رأي إلغاء هذه المجالس أيضاً مع الامور الآتية :

(١) ان أمور الاوصياء والقامة والوكلاء والمحجورين من الاحوال الشخصية، والمحاكم الشرعية على أسوأ تقدير محاكم الاحوال الشخصية للمسلمين في مصر، ولو وجد الاسلام نصيراً لكانت محاكم المسلمين في كل أمورهم

(٢) ان هذا الباب من المعاملات وردت فيه أحكام شرعية يجب اتباعها وتحرم مخالفتها ولم تكن من مشتملات القانون الاهلي

(٣) انه رغم كثرة الشكوى من مجالسنا واختلالها بسبب تنافر تأليفها وفساده، وتناقضه من علم وجهل، ودين ولادين، ونظام وفوضى، وقضاء وادارة، حتى صارت أسوأ حالا من محاكم الاخطاط التي خنقتها العدالة، ولكن هذه المجالس لابد في وجودها إلا انها قائمة لنقض أحكام الاسلام، ورغم كل ذلك يدعون انها عنوان الرقي في مصر، وان البلاد الاسلامية الاخرى التي تتولى أمور المجالس الحسبية فيها المحاكم الشرعية، ولا يوجد بسبب ذلك أي شكوى فمتأخرة لانها لم تبتدع مفسدة كالمجالس الحسبية تثل بها في بلادها عرش شرع الاسلام، وينتج من ذلك ان مصر وحدها هي التي تتهم قاضيها الشرعي وتهينه عصبية للقضاء الاهلي، وانه أحط تربية وتحقيقا من كل القضاة الشرعيين في كل باقي بلاد الاسلام

(٤) ان المحاكم الشرعية تتولى تطبيق الاحكام الشرعية في بعض المسائل كالاوقاف والمواريث ثم تتولى المحاكم الاهلية الجانب التنفيذي المدني فيها فيجب أن تكون المجالس الحسبية كذلك،

فهذا ملخص الاستاذ خشبة باشا، ثم قفاه الغرابلي باشا فجعل لهذه المصلحة وكيلا من القضاة الشرعيين، وهذا معنى كبير ولكن عهده لم يطل

وأما معالي الوزير الحالي فمع انه كان ينتظر منه أكثر من ذلك لان معاليه يتحرى أكثر رضاء جلالة مولانا الملك ـ والامور الشرعية الاسلامية لدى جلالته بالمكان الاول ـ طرد وكلاء الادارات الشرعيين ووسع وجود هذه المجالس اللادينية وبعد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جها عن الشريعة كثيراً ، ورغم مافيها من مظاهر الاهانة لحرمات البلد (١) لتسلط الادارة على القضاء الشرعي فيها ، لان المدير ووكيله والمحافظ ووكيله والمأمور يرأسون القاضي الشرعي للغاية التي بيناها (٢) وتحكيم قاض في قاض، وهو عمل لايسيغه أي ذوق فضلا عن انه افساد مابين طائفتين من الزملاء ، وهذه عيوب قضائية لايحتملها أي نظام ، رغم كل هذا فان معاليه لم يعمل لتدارك هذا الفساد بالاصلاح، بل بنى عليه فأنشأ مجالس حسبية استئنافية تزيد في البلد ثروة الفوضى والفساد وتزيد غبء الميزانية التي على وشك الرزوح والاعياء

ولا ندري إذا ظفرنا بقاض شرعي استوعب التعليم الديني واللاديني، والتهذيب الوضعي والفلسفي في حيز معاهد القضاء ، ودرس في خمسة عشر عاما الشريعة التي يحكم بها حتى تفقهت فيها نفسه، ثم تدرب وجرب وغمر هذا الاستعداد الراقي سائر المحاكم الشرعية قضاة وكتابا، ولم يبق في المحاكم بعد هذه الحركات العنيفة من يقال فيه لو ولا ليت ، إذا كان الامر كذلك فمتى ننصف قاضينا الشرعي بين قضاة العالم؟ ومتى يقضي على العصبية ضده لزميله المطربش، فان هذا غير جميل من ناس تخرجوا من القضاء، والعصبية ضده انما هي عصبية ضد الاسلام

والخطأ الشائع ان بعض المسلمين يقيسون الاسلام على المسيحية، مع أن هذه ديانة أخروية روحية محضة لم تجيء بحكم واحد، لكن الديانة الاسلامية ديانة ختامية كاملة شاملة، فهي نظام كامل لدولة اسلامية وامة اسلامية وتاريخ اسلامي. فالمصحف كما يوجد في المساجد يوجد في مقاصير البيوت وزوايا الاكواخ ، ويوجد على سرر الملك ومنصات الاحكام وممترك الاسواق وميادين الحروب ونوادي السياسة. وبالاجمال فحيث تقعد او تمشي او تقف او تنام يطل عليك المصحف باحكامه وآدابه فان عصيته لم تكن به مؤمناً ولا باراً

وأما مايتشدق به المفتونون منا من ان الاحكام الشرعية أمور مدنية لايضر الدين في شيء ان تتولاها المحاكم الاهلية بقوانينها فليس بعيداً من الذي يقول ان الديانة الاسلامية أو سواها من الديانات ليست إلا دعوى إلى خير وفضيلة، فتتساوى فيها جميع الاديان والمذاهب الاخلاقية والمبادىء القائمة عليها جمعيات الخير ، فيمكن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن يستغني عن الاسلام مثلا بالماسونية وكفى الله المؤمنين القتال ـ وبعد فاما اسلام صريح اولا اسلام ، فان الامم لا تنهض بهذا الارتياب

وما كنا ننتظر أن يشكو لمعالي الوزير ثلاثمائة عالم اسلامي من هذه المجالس باسم الانتصار لاحكام الاسلام وكرامة قضاته ثم لا ينصفون

[المنار] جاءتنا هذه الرسالة في البريد فأهمنا أصل الموضوع فيها جداً على انكارنا على الكاتب بعض التشنيع الشعري ، الذي لا ينبغي لمن يطالب بمثل هذا الحق الشرعي ، ونرى انه يجب على رياسة المعاهد العلمية الدينية في مصر أن تتولى مطالبة الحكومة بجعل هذه المجالس الحسبية شرعية تابعة للمحاكم الشرعية يتولى رياستها قضاة الشرع بما هو مقرر في الشرع ، وان ينكروا عليها أي تشريع يتعلق بحقوق الشرع ومحاكمه بدون موافقة رجال الشرع عليه واقرارهم له ، ويجب على مجلتهم نور الاسلام بسط ذلك

اذا صح ماذكره صاحب هذه الرسالة من ان ثلاثمائة عالم من علماء الاسلام شكوا الى وزير الحقانية مسلك وزارته أو عمله في هذه المجالس الحسبية بما يعد اعتداء على حقوق المحاكم الشرعية وما يلزمه من الاعتداء على الشريعة نفسها ـ ولا نخاله صحيحا ـ فكيف تسكت رياسة المعاهد الدينية ومجلتها على هذا ؟ وأي خدمة للشرع ترجى منهما اذا أضاع رجالها هذا الحق ، ورضوا بهذا الهضم لحقوق الشرع ؟ ما أرى لهما عذراً إلا عدم العلم بما بينه هذا القاضي الشرعي في رسالته هذه اذا كانت الحكومة المصرية تحرم على علماء الاسلام التعرض لسياستها الخارجية وإدارتها الداخلية ، فهل تستطيع أن تحرم عليهم التصدي لحماية ما بقي فيها من الاحكام الشرعية ، وتكرههم على الرضا بمثل ما بينته هذه الرسالة في شأن المجالس الحسبية ؟ كلا ، ان على فضيلة الاستاذ الاكبر رئيس المعاهد الدينية أن يكتب الى الحكومة بوجوب جعل المجالس الحسبية شرعية خالصة ، فان لم تستجب له فعليه أن يرفع الأمر الى جلالة الملك صاحب النفوذ الأعلى ، وكلمة من جلالته تعيد الحق الى أهله ، وتحله في محله .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

باب المراسلة والمناظرة

(الانتقاد على المنار وتفسيره)

مولاي الاستاذ السيد العلامة حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قرأت في العدد السابع من المجلد ٣١ من المنار الزاهر في تفسير قوله تعالى (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق) ص ٥٠٩ مانصه « وفي مسند أحمد عن ابن مسعود : خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن منكم منافقين فمن سميته فليقم، ثم قال: قم يافلان حتى سمى ٣٦ » وروى غير هذا في معناه

ولما كنت أعمل ـ كما تعلمون ـ في وضع فهارس دقيقة مفصلة لمسند الامام احمد فقد استغربت أن يكون فيه هذا الحديث ، ثم رجعت الى فهارس المسند التي عملتها فأيقنت انه لم يروه أحمد أصلا من حديث ابن مسعود فانه لم يرو من حديثه فيما يتعلق بالمنافقين إلا خمس أحاديث هي :

حديث المواظبة على اجابة النداء بالصلاة وفيه « ولقد رأيتني وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم نفاقه » رواه مرتين في صفحة ٣٨٢ و ٤١٤ ج ١

وحديث « ان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه » الخ وهو ليس نصاً في وصف المنافق ورواه ثلاث مرات في ص٣٨٣ ج ١

ولم يرو من حديث ابن مسعود في خطب النبي ﷺ إلا أربعة أحاديث هي أحاديث خطبة الحاجة رواه بأربعة أسانيد في ص ٣٩٢ و ٣٩٣ و ٤٣٢ ج١

وروى في التفسير من حديث ابن مسعود ٣٦ حديثا ليس منها هذا الحديث على اليقين ولولا خوف الاطالة لذكرتها بصحتها

وقد رجعت الى الدر المنثور للسيوطي فوجدته روى قريباً من هذا المعنى من حديث ابن عباس ونسبه لابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني في الاوسط وأبي الشيخ وابن مردويه ، وهو في تفسير ابن جرير الطبري كما قال السيوطي ولفظه « قام رسول الله ﷺ خطيبا يوم الجمعة فقال : اخرج يافلان فانك منافق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اخرج يافلان فانك منافق فأخرج من المسجد ناساً منهم فضحهم» الخ ونسبه صاحب كتاب جمع الفوائد للطبراني في الاوسط وقال « بضعف » وحقيقة ان في اسناده عند ابن جرير ضعفا . وكذلك نقله ابن كثير عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس ولم يذكر من أخرجه ، وظاهر أنه أخذه من تفسير ابن جرير ، وذكر السيوطي في الدر المنثور حديثا آخر لابن مردويه عن أبي مسعود الانصاري قال « لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ماشهدت مثلها قط ، فقال : «أيها الناس إن منكم منافقين فمن سميته فليقم ، قم يافلان ، قم يافلان ، حتى قام ستة وثلاثون رجلا » وذكر باقي الحديث ولم يتكلم على اسناده من الصحة والضعف فلا ندري ماهو وليس انفراد ابن مردويه بحديث مما يطمئن معه القلب الى صحته

وأظن أن هذا الاخير هو الاقرب الى رواية المنار الزاهر ولكنه من حديث أبي مسعود البدري الانصاري لا من حديث عبد الله بن مسعود ومن رواية ابن مردويه لا من رواية الامام أحمد بن حنبل في المسند

هذا مابدا لي في استخراج هذا الحديث أرجو من أستاذي الجليل أن يتفضل بنشره في المنار وأن يمن على تلميذه بذكر مصدر الرواية إن كانت منسوبة للمسند من حديث ابن مسعود حقيقة استدراكا لفائدة نفيسة كهذه حتى نقيدها عندنا على نسختنا من مسند أحمد ، لا زلتم أهلا للفضل ومناراً للعلماء والسلام

تلميذكم المخلص

أحمد محمد شاكر — القاضي الشرعي

(المنار) أشكر لاخينا الكريم خادم السنة بحثه العلمي عن الحديث المذكور وإيذاننا بنتيجته وأخبره بأنني نقلته من كتاب (فتح البيان في مقاصد القرآن) وانني اطلعت على ما ذكر في معناه في تفسير الطبري والدر المنثور وابن كثير وغيرهما فاقتصرت عليه لاختصاره ، بعد أن كنت نقلت غيره ولم أنشره لانني أعتقد انه لايصح شيء في فضيحة اولئك المنافقين في المسجد بالتصريح بكفرهم باعيانهم لما صرحت به من تعليل ذلك عقب نقله ولولا هذا لما ذكرت هذا الحديث أيضا وانني قد استغربت سكوت السيوطي عن هذا الحديث في الدر المنثور ولكنني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أعلم انه لم يستقص كل ماورد وقد راجعت جدول الخطأ والصواب من فتح البيان لعلي أرى فيه تصحيحاً لخطأ وقع في عزو الحديث إلى المسند او إلى ابن مسعود فلم أره فيه، وأنا أعلم أن مؤلفه رحمه الله كان يتحرى في نقل الاحاديث ويقال انه كان يستعين في تأليف تفسيره هذا بلجنة من علماء الحديث وغيرهم ، ومن الكتب التي كان يعتمد عليها تفسير الشوكاني ، فان وجد الحديث في هذا التفسير يكون ناقلا له عنه، وان لم يوجد فيحتمل أن يكون وجده في نسخة للمسند خطية في خزانة كتبه الحافلة ، ويحتمل أن يكون عزوه الى مسند ابن مسعود عند الامام أحمد خطأ ، ويرجحه عدم نقل السيوطي إياها عنه في الدر المنثور ، على انني قد حذفت هذه الرواية مما طبعته على حدته وكذا من مختصره الذي شرعت فيه بل قلما أذكر فيه شيئاً من الروايات الصحيحة بألفاظها وتخريجها ، وأختم هذا التعليق باعادة ما بدأت به من شكر اخينا الاستاذ، جعله الله تعالى خير عون على العلم وتحرير كتبه

اقتراح مناظرة

(في الخلاف بين أهل السنة والشيعة)

(جاءنا الكتاب الآتي من حضرة صاحب الامضاء ، أحد علماء الشيعة الامامية الاعلام ننشره بنصه وحروفه ، وننشر بعده جوابنا له ، وقد سبق هو الى نشرهما في بعض الصحف)

بسم الله تعالى

بازكى التحية وأفضل السلام أحيي مقام ذلك الامام السيد الرشيد آل رضا ألهمه الله قول السداد ، وسلك به سبيل الهدى والرشاد

أما بعد فاني أحمد اليك الله سبحانه الذي عرفنا أولياءه وأهل محبته، وهدانا إلى ماسنه من شريعته (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) واسئله أن يوفقنا جميعا لنصرة الحق وارشاد الضال ، واحياء السنة واماتة البدعة ، فانه ولي ذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والقادر عليه. ثم اني رأيتك قد أرهفت يراعتك وثلمت كنانتك منتصبا في وجه الشيعة زاعما انهم قد نشطوا في هذه الايام لدعاية الرفض والبدع ، والصد عن السنة وأعلامها، فان يكن ذلك منك حمية للحق وغيرة على الاسلام (والسرائر لايعلمها غيره سبحانه) فحقق دعواك ـ ان رأيت ـ بان تفتح لنا بابا في مجلتك الغراء نذكر فيها المسائل الهامة التي وقع الخلاف فيها بين الطائفتين ونحقق الحق في ذلك متبعين البرهان، غير متحيزين إلى فئة، ملتزمين آداب المناظرة، وايم الحق لئن فعلت ذلك انها لاعظم حماية للدين ، وأعود نفعاً على المسلمين، وأكون لك بلسان أهل الحق من الشاكرين ، فأرجوك وظني بك ستحقق رجائي ولك عهد الله سبحانه أن لا أذكر في مناظري كلمة أقصد بها جرح عاطفتك والغض من كرامتك ، واحتمل لك كل قول، وبذلك يظهر فساد ماليس من الدين مما يعتقد صحته الكثير من الطائفتين، وتنال لقب المصلح، ويكون لمجلتك شأن ، واني بانتظار الجواب والا فسندرج صورته في مجلة العرفان الغراء وغيرها

صاحب الكلمات
عبد الحسين نور الدين

جواب صاحب المنار

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رشيد رضا ـ إلى الاستاذ الكبير ، والعلامة الشهير ، السيد عبد الحسين نور الدين ، هدانا الله وإياه الصراط المستقيم ، آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فقد ألقي إلي كتاب منك أنكرت فيه علي ما كتبته أخيراً في دعاية الشيعة، وما هو إلا ردي على كتاب السيد عبد المحسن العاملي فيما طعن به علي أقبح الطعن الديني والشخصي بالتبع لطعنه على الوهابية، وعلى شيخ الاسلام ابن تيمية، بما تضمن الطعن على سلف الامة الصالح في عقيدتهم ـ ثم انتقادي ما كتبته أنت في الجزء الاول من كلماتك في موضوع غزوة حنين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقدعبرت عن ذلك تعبيراً منتقداً أغضي عنه، وأخص بجوابي مادعوتني اليه من فتح باب في المنار للمناظرة « في المسائل الهامة التي وقع فيها الخلاف بين الطائفتين » لتحقيق الحق فيها بالبرهان « غير متحيزين إلى فئة ، ملتزمين أدب المناظرة» الخ

فأقول: لبيك لبيك ، لقد دعوتني إلى ما كنت أتمنى مثله ، فاني ما كتبت ولن أكتب في هذه المسألة ولا في غيرها إلا ماأعتقد حقيته، وأقصد به النصيحة لله ولكتابه ولرسوله وللمسلمين ، وهو ماأرشدنا اليه الله ورسوله ﷺ بقدر مايصل اليه علمي ورأيي ، فاني لاأنتحل مذهبا من مذاهب الفرق الاسلامية أتعصب له ، ولا اقلد عالما من أئمتها أتقيد برأيه واجتهاده ، فأخشى أن يظهر بالمناظرة بطلان قوله ، بل طالما ذكرت في المنار ماهو منتقد عندي من المذاهب الشهيرة ، وليس للمنار أدنى مساعدة مالية ولا معنوية من طائفة من الطوائف ، ولا أهل مذهب من المذاهب ، ولا من فرد من الافراد ، فأخشى على نفسي أن تتبع الهوى في الانتصار لمذهبهم أو شخوصهم من حيث ادري ولا أدري ، فان كنت تعاهد الله كما أعاهده على ماتقلته عنك آنفا فهلم .

ولا أحفل بما قلت قبله ولا بعده من الامور التي أملاها عليك سوء الظن بي من ترغيب وترهيب ، وشك مريب

ولما كانت مسائل الخلاف كثيرة ، وكان الباب الذي نفتحه لها مع بقاء سائر أبواب المنار مفتحة ـ ولاسيما التفسير والفتاوى والشؤون الاسلامية العصرية ـ لايتسع لدخول هذه المسائل كلها فيه إلا في سنين كثيرة ، وجب أن نقتصر على المسائل المهمة ، وان نلتزم فيها الاختصار غير المخل بالغرض ، وان تكون وجهتنا جمع الكلمة ، والتأليف بقدر الطاقة ، على المنهج الذي شرحته في الجزء الرابع من (منار) هذه السنة .

فعسى أن تكتب إلي برأيك في هذا تمهيداً للشروع في هذا العمل . وأسأله تعالى أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه من جمع كلمة المسلمين على كتابه وسنة رسوله ﷺ ونبذ البدع ، ثم على مصالحهم الدنيوية العامة والسلام .

١٤ رمضان سنة ١٣٤٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نظرة تاريخية في الثورة الهندية الكبرى وأسبابها

(وما اقترفه الانكليز من الفظائع فيها)

(لصاحب الامضاء كاتبه)

لايجهل أحد له الملم بتاريخ الهند الحديث الثورة العامة التي نشبت في البلاد ضد الحكم الانكليزي سنة ١٨٥٧ م فكل من اطلع على تاريخ الهند تستوقف نظره هذه الثورة وتوغر صدره على الهنود ، فيتهمهم بالهمجية والبربرية ، لان التاريخ يبين له ما ارتكبه الهنود « الثوار » من الفظائع والمنكرات ويريه أنهاراً من الدماء الانكليزية التي أراقها هؤلاء المتوحشون. ولكن هذا التاريخ انما دونته الاقلام الانكليزية المتعصبة التي اشتهرت بتشويه الحقائق ان كان من وراء ذلك كسب للاستعمار . وهو بالحقيقة ليس بتاريخ بل دعاية استعمارية انكليزيه أريد بها تبرير استيلاء انكلترا على القطر الهندي العظيم

بيدأن الحق لايعدم أنصاراً ولا يمكن اخفاؤه إلى آخر الدهر ، فقد وجد أناس منصفون في الانكليز أنفسهم برزوا للدفاع عن الحق، ولبيان ما ارتكبه اخوانهم من الفظائع خلال الثورة الهندية وقبلها وبعدها . وقدظهر حديثا كتاب ألفه مؤرخ هندي دون فيه شهادات هؤلاء المنصفين من الانكليز، فأحببنا أن نلخص منه فصلا لقراء المنار الاغر ليكونوا على حذر من كتب التاريخ الانكليزية المتداولة عن الثورة الهندية (١) فنقول :

للثورة الهندية أسباب كثيرة ولكن هنالك سببين مشهورين هما أساس لغيرهما (أولهما) ان الشركة الهندية الشرقية « ايست انديا كمبن» أخذت تبلع وتضم جميع المقاطعات الهندية واحدة بعد أخرى الى ممتلكاتها، فخافت الهند على ضياع حريتها وأخذت تنظر إلى الشركة بنظر الريب والشك (وآخرهما) قهر الجنود الهندية على استعمال الخراطيش المدهونة بشحوم الخنزير والبقر . وقد كتب عن هذه الخراطيش «انيس» وكان إذ ذاك القائد العام لقوات الشركة ما يأتي : ـ

(١) وليكونوا على حذر أشد مما تنشره الجرائد الانكليزية في قضيتي الهند ومصر وغيرهما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

« لقد فتشت تلك الخراطيش التي كانت محل الريب فوجدت ان عذر الجنود في امتناعهم عن استعمالها كان مبنيا على الحق وما كنت أتوقع ان شحم الخنزير والبقر يوضع في الخراطيش ، فأقول ولا أبالي بلائم: ان الشركة لم تحترم عواطف الهند الدينية »

ان هذه الخراطيش التي قهر الجنود على استعمالها كانت مدهونة بشحم البقر والخنزير وكانت توضع في البنادق بعد قطعها بالاسنان لان بعض الاجزاء منها متين الى درجة انه ما كان يمكن استعمالها إلا بعد أن تقطع بالاسنان . ومن المعلوم ان الديانة الوثنية تحترم البقر كل الاحترام ، والدين الاسلامي يحرم الخنزير ، فحين أكرهت العساكر على استعمالها غضبت غضباً شديداً وهاجت وماجت فعصى ٨٥ جنديا منهم في بلدة « ميرت » وابوا استعمال الخراطيش ، فساقتهم السلطة الانكليزية الى المحكمة العسكرية فحكمت على كل واحد منهم بسجن عشرة سنوات بدلا من تسكين هيجانهم ومعاملتهم باللطف والاقناع . ولو اكتفى الانكليز بذلك لما حسب له حساب ولكنهم لجوا في طغيانهم وعاملوا هؤلاء الجنود معاملة سافلة جدا ، وقد صور أحد الكتاب الانكليز ذلك المنظر البشع قائلا :

« سيق ٨٥ جنديا الى المحكمة العسكرية ، تحت مراقبة الآلات النارية ، وحكم عليهم بهذا الحكم القاسي: ثم عريت ابدانهم عن الملابس العسكرية ووضعت في أرجلهم الاغلال والسلاسل من الحديد فكان منظراً هائلا حتى ان رفقاءهم الناظرين اليهم عن بعد كانوا يتململون ويتأسفون على هذه المعاملة الوحشية وكان بين المحكوم عليهم من خدموا الانكليز خدمات جليلة ، وأظهروا شجاعة فائقة في كثير من المعامع (١)

---

(١) يالله العجب من هذا الجهل الذي يبذل المبتلي به روحه في خدمة عدو دينه ووطنه ولا يخاف إثما ولا عارا ، وهو من أكبر الكبائر ان لم يستلزم كفرا ، ثم يتأثم أو يتورع عن لمس مادهن بشحم نجس حكما بيده او فمه ويعده اهانة فيثور ويعرض نفسه لاشد العذاب والتنكيل ، مع أن تنجس الفم به يطهره اللعاب او الماء في مذهبه ، واعجب من جهل هؤلاء العوام غطرسة الانكليز واحتقارهم لشعور الناس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«وقد احتجوا على هذه القسوة ورجوا من قائدهم ان لا يرميهم بمثل هذا الذل والاهانة، فلم يصغ الى تضرعاتهم ولما لم تنجهم ولولتهم وبكاؤهم من العذاب المبين وتحققوا ان « لاحياة لمن تنادي » توجهوا الى رفقائهم الشاخصين اليهم وصاحوا بأعلى صوتهم «أليست فيكم غيرة وطنية ؟ أليس عندكم شيء من عاطفة الاخوة والمروءة ؟ نحن اخوانكم نهان ونذل ونخزى وأنتم شاخصون ؟ فنزلت هذه الصرخات المؤلمة على قلوب رفقائهم كالصاعقة ، فتأثروا بها ايما تأثر ورأوا ان يساعدوهم على الفور ، ولكن وجود الآلات الجهنمية حال دون ارادتهم ، فكظموا غيظهم ، الا أن الفعلة الشنيعة نفرت جميع الجنود الهنود من الانكليز فثاروا عليهم ثورة عامة بعد ان كانوا يضحون حياتهم في سبيلهم»

وقد صرح « ارورد كينج » الوالي العام للهند يومئذ بما يأتي « لقد كان هذا الحكم الجاف القاسي بعيدا عن الانسانية الى درجة أنه لا يوجد له نظير في العالمين فكان وحده سببا لايقاد نار الثورة »

وقد صدق الوالي فانه في اليوم الثاني من المحاكمة أي في ١٠ ما يو سنة ١٨٥٧ م ثار الفرسان وفرقتان من المشاة وتوجهوا الى السجن ففتحوا أبوابه عنوة وأطلقوا سراح الجنود المسجونين، ثم طفقوا يحرقون بيوت الانكليز ويقتلونهم حيثما وجدوهم، وبعد ذلك توجهوا كلهم الى « دهلي» وفعلوا هنالك مافعلوه من القتل والنهب

ولا عجب فقد جرت العادة أن الامة المقهورة اذا اضطرت الى اخذ الثار من قاهريها فقدت توازنها العقلي ولجأت الى الاعمال البهمجية دون تبصر ولكن الانكليز المتحضرين لم يكونوا اقل همجية من هؤلاء الجنود الجهلة (١)

قال فرينك تين في تاريخه مايأتي « كانت هذه المحاربة بين امتين متوحشتين متجاوزتين حدود العدل والانسانية وكان همهما الوحيد القتل، النهب والسلب وقد بلغا في الظلم والعدوان حدوداً متناهية يستحسن ان يسدل الستار عليها »

ان التاريخ الانكليزي قد وارى سوآت الانكليز ولكنه قسا كل القسوة على الهنود فذكر كل مافعلوه وما لم يفعلوه ، فملأ صحائفه بمئات من القصص المخترعة

(١) ولكنها أفظع بكونهم هم المعتدين الظالمين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لتهييج عواطف الانكليز وحملهم على الانتقام من الهنود الساكنين إلى آخر الدهر وأني أقتبس من الكتاب بعض الحوادث التي أخفاها التاريخ الانكليزي عمداً :

مذبحة بشاور

ألقي القبض على ٣٠ من الجنود يوم ١٥ يونيو سنة ١٨٥٧ م بمدينة بشاور ولم يكن أحد منهم ارتكب جناية ما ، ولكنهم اضطروا الى الالتحاق بالثوار اضطراراً ، فماذا فعل بهم الانكليز؟ تعرف ذلك مما يلي :

كتب القائد « نكلسن » إلى «أدوارد» مدير بشاور « اني أشفع لديك للعفو عن ٥٥ جنديا من هؤلاء الجنود ، لان ضباطهم أكدوا لي أنهم بريئون من الخيانة . ولم يشتركوا في الثورة اشتراكا فعلياً ، وأما الباقون من ١٢٠ فاربطهم على أفواه المدافع ، اجعلهم رمادا» فأجاب لارنس «انهم لا يستحقون العفو لانهم وُجدوا في صفوف الاعداء ، ومع ذلك لا أريد أن أهلكهم جميعاً ، ولكن أريد أن أجازيهم جزاءً مراً حتى يكونوا عبرة للآخرين . أريد ان أقتل ثلثهم وأنتخب لهذا أشرارهم أو الذين يشكو ضباطهم منهم ، فان لم يكمل العدد من هؤلاء أكمله من الشيوخ ، وأما الباقون فأعاقبهم بالسجن لمدد مختلفة أقلها السجن ٣ سنوات»

وقد كتب «اللورد رابرت» الى والدته عن هذه الحادثة وكان يومئذ ضابطا في الجيش «جئنا من جيلم إلى بشاور ماشين على الاقدام وصرنا نقتل الثوار ونجردهم من أسلحتهم ، وعند ما أهلكناهم بالمدافع ارتعب الآخرون من بطشنا ، وشدة شكيمتنا ، أجل ان هذه لقسوة ولكن لا مناص لنا منها ، لقد أردنا أن نُقنع بهذه الاعمال القاسية أشرار المسلمين ، بأننا بعون الله نبقى على الهند متسلطين » (١)

(١) ظن هذا الجاهل المتكبر ان شدة الظلم سبب لدوام الحكم ، وما هي الا سبب زواله ، ولا بد أن يزول حكم الانكليز من الهند ومن هم شر منهم من الاوربيين من البلاد التي استعبدوا أهلها — ولكن بعد ان ينقشع سحاب الجهل عن هذه الشعوب وتعرف نفسها . وقد سبقت مصر والهند في هذا غيرهما ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مذبحة بنجاب

سيق رجل من الثوار إلى مدفعة كان فيها بارود زيادة عن المعتاد فأطلق عليه النار فطار جسمه ممزقا كل ممزق

وأشار الجنرال (نكلسن) في كتاب له الى (ادوارد) قائلا :يجب علينا أن نسن قانونا يبيح لنا أن نحرق أو نسلخ جلود الثوار وهم أحياء، لان نار الانتقام التي تتأجج في صدورنا لا تخمد بالشنق وحده ، ثم ان الامم الشرقية اعتادت أن لاتحسب للحكومات حسابا ولا تخاف جانبها الا إذا كانت ذات سطوة قاهرة»(١)

وكتب مدير(امرتسر) في ذلك العهد« كان جميع الضباط في بنجاب يبدأون بالفظائع لايقاع الرعب في قلوب الاهالى لكيلا يتجرأوا على أخذ الثأر منا»

وذكر (لمامسن) للسر هنري كاتن عن بعض المسجونين المسلمين ما ترجمته: أتاني ذات ليلة عسكري فقال لي بعد التحية العسكرية « لعلك تريد أن ترى المسجونين » فقمت حالا إلى السجن فرأيتهم مربوطين على الارض يتنفسون آخر انفاسهم وكان على أجسامهم آثار الكي بالنحاس المحمي على النار ،فرق قلبي لحالتهم التعسة ، فأخرجت المسدس وصرت أطلق النار عليهم واحداً بعد آخر لاخلصهم من هذا العذاب الاليم ، فلما سمع (كاتن) عن هذه الحادثة المؤلمة سأل (لمامسن) عما فعل مع الذين ارتكبوا هذه الافعال الشنيعة ؟فأجاب(لمامسن)انه لم يعاقبهم بشيء

المسلمون في القتل والنهب

لقد كان كل عسكري هندي في ذلك الوقت متهما بالاشتراك في الثورة ومسئولا عن قتل أولاد الانكليز ونسائهم ، سواء كان جانيا أو غير جان قريبا او بعيداً ، حتى ان الانكليزي الذي كان قتل في دهلي يسئل عنه من كان في بنجاب او في بشاور ويعذب أشد العذاب .

وقد ذكر اللفتنيت مجدن حادثة تفتت القلوب لفظاعتها فقال« وأثبت ذات

---

(١) ليعتبر الشرقيون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مرة ان الانكليز والسيخ كانوا يطعنون عسكريا هنديا بالحراب الا ان طعنهم لم تقتله فجمعوا الحطب وأشعلوا النار فيه، فلما اشتد ضرم النار ألقوا الهندي المسكين فيها وظلوا ينظرون اليه بفرح وسرور عظيمين!»

وأيد هذا القول المستر رسل المكاتب الخصوصي لجريدة «لندن تيمس» وزاد عليه «انني رأيت عظام الجنود المحروقة في ذلك المكان»

وقد احتج «رسل» هذا على تلك الافعال الهمجية الخارجة عن الانسانية: فكتب في مذكراته

«ان الانتقام من الجنود على طريقة همجية، مثلا وضع المسلمين في جلود الخنازير ثم الخياطة عليهم وادخال شحم الخنزير في أفواههم قبل قتلهم، وقهر الهندوس على أكل لحم البقر لاعمال شنيعة تشمئز منها الانسانية كل الاشمئزاز ولا بد انها تنتج النتائج السيئة عاجلا أو آجلا!»[1] (عثمان..)

هول النشأة الاسلامية في الهند

ترجمة السيد الامام احمد بن عرفان الشهيد مجدد القرن الثالث عشر

رسالة للاستاذ السيد ابي الحسن علي الحسني بن العلامة السيد عبد الحي ناظم ندوة العلماء (سابقاً)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين الطيبين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين

أما بعد: فلم تزل سنة الله في عباده ولا تزال — ولن تجد لسنة الله تبديلا — أن يبعث فيهم — وقد أخذ الشيطان قيادهم، وذهب بهم النسيان مذهبه حتى (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) — مذكراً مبشراً منذراً

(١) هذا العاقل وذلك المنصف قلما يوجد مثلهما في الشعوب المستعمرة الأخرى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فترى ان الانسان يذكر شيئا فكأنه لاينساه أبدا، ثم يضرب عنه صفحا فكأنه لم يكن قط على ذكر منه (وكان الانسان أكثر شيء جدلا) الكهف (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما (طه) (ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا (الفرقان) (فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون (الانعام) (فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون (الاعراف) (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية، يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به (المائدة) (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم (الحشر)

فلا بد من التذكير ولا غنى عنه (واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه ياقوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت، فاجمعوا أمركم وشركاءكم (يونس) (وذكرهم بايام الله (ابراهيم) (فذكر انما أنت مذكر (الغاشية)

وكان محمد ﷺ خاتم النبيين (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين (الاحزاب) به أكمل الله للبشر دينه، وأتم عليهم نعمته

﴿ مجددو الامة ومصلحوها بعده ﴾

قال ﷺ « لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم » رواه الشيخان وغيرهما وفي السنن « ان الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الامة أمر دينها » رواه ابو داود وغيره

فلم يزل في هذه الامة من جدد لها أمر دينها، أيقظها وقد طال بها الكرى، وبث فيها روح الحياة والعمل

وأرجو ان يكون السيد الامام احمد بن عرفان: مجدد القرن الماضي وأنا على ثقة وبصيرة ان شاء الله، فمنه كان عصر النهضة الاسلامية واليه يرجع فضل النشأة الحاضرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ حالة الهند العامة في عهد نشأته ﴾

انتهت الحرب السياسية التي دارت بين المسلمين واليسوعيين في القرن الثامن وذهبت على اثرها السياسة الاسلامية ، إذ ذهبت الحمية الاسلامية ، وسكرة العزة المالية ، وفقد العالم الاسلامي نشاطه وروحه ولم يبق يومئذ من الاسلام الا اسمه ، ومن الدين الا رسمه

طرأت على الهند حوادث سياسية فكثر المفسدون واخذوا يعيثون فيه فساداً ، ويغرسون بذور الفتنة استئثاراً بالامارة ، فلم يكن فيه من يكبح جماحهم ويقطع دابرهم ، فحدثت ثورة بعد ثورة ، وبغوا وطغوا وأكثروا فيه الفساد ، وانقطعت وسائل الراحة والطمأنينة

حتى اذا احتلت الهند الانكليز لعبت يدهم بسياسته ، وساروا على قاعدة « فرّق تسد) وأوقدوا نار العداوة بين أمراء الهند وملوكه حتى صار بأسهم بينهم شديداً ، وصار يقتل بعضهم بعضا ، وكانوا مع الحروب الداخلية يحاربون عدواً آخر وهو الفرنساويون ، فانكسروا وانكسر الفرنساويون وآل الامر الى الانكليز

أما ملوك دهلى (١) فبقوا كأعجاز نخل خاوية ، أو خشب مسندة ، حتى اذا استشهد المغفور له السلطان طيبو الذي حارب الانكليز ودفع عن المسلمين سنة تسع وتسعين وسبعمائة وألف (م) ضاقت على المسلمين أرض الهند وكادت تلفظهم

ان مما امتاز به العرب عن غيرهم أنهم اذا دخلوا قرية غيروا دينها ومدنيتها واجتماعها ومعاشرتها وآدابها ولسانها من غير جبر ولا استكراه ، وانقاد أهلها رضا وطاعة لهم ، وحبا وكرامة لطاهر عواطفهم المالية ، ولكرمهم وتقواهم ، وحسن معاملتهم لهم

وأما ملوك الهند وفاتحوه فقد خلوا من تلك العواطف الملية الطاهرة ، وانما ألجأتهم اليه مطامعهم فزحفوا عليه وفتحوه ، وحكموا ماشاء الله أن يحكموا. فداس

(١) دهلى مهد الحكومة الاسلامية ومدفنها كانت بغداد الهند وقرطبته عدة قرون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أكثرهم أحكام الاسلام وشرائع الدين كما يظهر من أعمالهم المنكرة التي يأباها كل ذي ضمير حي فضلا عن المتدينين

فالتيموريون لما استقرت بهم الحكومة أراد بعضهم أن يستتب أمره فلم يجد بداً من معاضدة الوثنيين له، فألان جانبه لهم حتى ازور جانبه عن المسلمين، ومال اليهم ميلا شغله عن الدين، بالرغم من المتدينين، فتزوج فيهم، وخر لاوثانهم، وصار كأنه واحد منهم لا يخيل لاحد انه مسلم، ثم أمرهم بعبادة شخصه فخروا له سجداً وكفروا له — فهذا كان شأن الحكومة الاسلامية في الهند في ربيع حياتها، أو ريعان شبابها، فما ظنك بها في وهنها وهرمها؟

اتخذوا القرآن هزؤا، بل كان تلقينه والاستمساك به ذنباً لا يغفر، فلم يكن يوجد للقرآن ترجمة في أي لسان الا الترجمة الفارسية المنسوبة الى الشيخ سعدي (رح) حتى ان الشيخ العلامة ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي حين ترجمه خشي على نفسه واضطر أن يهاجر من الهند

وأما الحديث فلم يبق منه إلا روايات وأساطير كأساطير ألف ليلة وليلة، كانوا يسجدون بين يدي القبور سجودهم بين يدي الله، فكان القبر قبلتهم التي يتوجهون اليها، وملجأهم الذي يلجئون في شدائدهم وحاجاتهم اليه، فكانوا يزينونه ويزخرفونه ويطوفون به، ويعتكفون عليه، وكانت تنعقد عليه الاسواق وتجتمع عنده المواكب، وكل امرىء رضي بشيخ راشداً، وإلى النجاة قائداً، حتى إذا توفي أحدهم دفنت معه صحيفة عليها اسم شيخه ونسبه ظنا انها تقيه سوء العذاب

ثم المتصوفون — تصوفا مبتدعا — فأحلوا ما حرم الله، وجعلوا المنكر معروفا، والباطل حقا، واعتدوا وأسرفوا، واتبعوا أهواءهم، فضلوا وأضلوا، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتخذوا دينهم لهواً ولعبا، ولذة وطربا، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون، وكان الاسلام يومئذ كالمسيحية ما هي إلا أوهام، ومعتقدات وأسماء سموها استغناءاً بها عن الاعمال (لها بقية)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشيخ محمد عبد العزيز الخولي

رزئت مصر، بل نهضة الاصلاح الاسلامي في هذا العصر، باغتضار الشيخ محمد عبد العزيز الخولي في شرخ شبابه، وغضاضة إهابه، وغضارة معيشته، وصولة مجاهدته، بعد مرض فجأه على غرة فأقصده، بجهل الطبيب كنهه وعلاجه، لاستكماله ما كتب الله له من العمر، وإذا قضي الاجل، عمي البصر وضاعت الحيل، وخاب الامل

مات الشاب الذي فاق الشيوخ حكمة وعلما، وفات الكهول همة وثباتا وحلما، وبذ الشباب نجدة وإقداما

مات خطيب مصر المفوه، وواعظها الديني المؤثر، المبشر المنذر، الذي تخشع لوعظه القلوب، وتسيل الغروب، وتجيش الصدور، وتستهل الشؤون

مات المصنف المدرس الصحيح العلم، الجيد الفهم، المتحري لهدى القرآن الحكيم، والهدي محمد خاتم النبيين، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم في التزام سنته، والنصح لامته

نعم مات أخونا وصديقنا وأحد أركان جماعتنا دعاة الاصلاح على المنهج الذي تقتضيه حال الزمان، من هدم الخرافات والبدع، وإقامة قواعد السنن، والقيام بحقوق الروح والجسد، واستقلال العقل والفكر، والجمع بين الدين والعلم، والعمل النافع في عمران الدنيا والاستعداد للآخرة، فحزنت لموته القلوب، وفاضت الدموع، وإنا على فقده لمحزونون، فانا لله وإنا اليه راجعون

كان اول عهدنا بمعرفته سنة ١٣٣١ إذ اشترك في مجلة المنار وصار يتردد علينا للمذاكرة والبحث، وكان طالبا في مدرسة القضاء الشرعي، فكانت قراءته للمنار وزياراته لنا في بعض الاحيان، مقوية لإستعداده لمعرفة حقيقة الاسلام، والاهتداء بها للعمل والتعليم على منهج الاصلاح

ولما حان وقت امتحانه النهائي لنيل شهادة المدرسة، وكان لابد له من كتابة رسالة في أحد المباحث العلمية الدينية للتقديم بين يدي الامتحان اتباعا للعادة الملتزمة — اختار بحث السنة وعلومها وتاريخها فكتب رسالته التي سماها (مفتاح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السنة —او— تاريخ فنون الحديث) وكان يستشيرنا في تأليفها وفي الكتب التي يستمد منها ، وفي الوقوف على أخبار المشتغلين بعلم السنة في الاقطار الاسلامية في عصرنا . ونشرنا له هذه الرسالة في مجلد المنار الثاني والعشرين وطبعناها مستقلة في مطبعة المنار سنة ١٣٢٩ (١٩٢١م) وقدمها للمدرسة فنالت حسن القبول

وقد نوه رحمه الله تعالى في أواخر هذه الرسالة بما كان من تأثير مجلة المنار في نشر السنة والاهتداء بها إذ قال في فصل (حال السنة في عصرنا الحاضر) مانصه (ص ٦١ من الطبعة الاولى) « ولما كانت مجلة المنار سلفية المنهج وكانت عنايتها موجهة إلى محاربة البدع ، والرجوع بالدين إلى مادرج عليه الرعيل الاول من السلف ، وكان ذلك داعياً للعناية بالسنة والبحث فيها وفي فنونها ، والاستدلال بها في الفتاوى وغيرها ، كان لها أثر صالح في نشر السنة وتكثير سواد الطالبين لها في الاقطار الاسلامية المختلفة » اه

وبقي لنا عليه دين أدبي كان يعد بوفائه من غير مطالبة ، وهو تقريظ تفسير المنار كما قرظه أخص اخوانه من علماء الازهر وغيرهم ، وكان يسوف فيه ليجد فرصة لكتابة شيء لم يسبقه إليه غيره ، فرحمه الله وعفا عنه

فهرس ترجمته

قال صديقه ورفيقه في الطلب والتدريس الاستاذ الشيخ مصطفى محمد خفاجي المدرس في تجهيزية دار العلوم في تأبينه إياه في حفلة المدرسة (في ٢٦ ذي الحجة) :

ولد رحمه الله ببلدة الحامول من أعمال المنوفية سنة ١٣١٠ من الهجرة ، ولما أتم حفظ القرآن وتجويده التحق بالجامع الازهر كسائر أهل بلده إذ ذاك (كذا) ولكنه لم يرقه ما كان عليه من الفوضى ، فولى وجهه شطر الاسكندرية وانتسب إلى معهدها إذ كان على شيء من حسن النظام والدقة فقضى به أربع سنين إلا بعض السنة ، ثم تاقت نفسه الوثابة وآماله البعيدة إلى الالتحاق بمعهد يكون أدق نظاما ، وأعلى إحكاما ، فكانت مدرسة القضاء الشرعي طلبته ، ومغناها بغيته ، فألقى عصاه بذراها ، وانتظم في طلبتها وذلك سنة ١٣٢٩ هـ الموافق سنة ١٩١١ ميلادية وما زال بها الطالب المجد والجندي القوي حتى أتم تسع السنين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم غادرها إلى حلبة الحياة العملية وقد اتسعت أمامه الارجاء ، وانفتح لمداركه وآماله مغلق الانحاء ، فعين مدرساً بالمعهد الذي تخرج فيه سنة ١٩٢٢ ولما أنشيء به قسم التخصص في الشريعة الاسلامية كان ممن اختير ليدرس في هذا القسم ، ولما عصفت الاعاصير بذلك المعهد الشامخ نقلنا إلى مدرسة دار العلوم ، حتى اذا كان صيف العام الماضي نقلنا إلى المدرسة التجهيزية حيث نحن الآن ، ثم غادرنا إلى الدار الآخرة قبل شهر كامل من اليوم »(أي في ٢٥ ذي القعدة)

ثم ذكر خلاصة ماعلمه بالمعاشرة ، والمزاملة في المدرسة ، من شمائله وآدابه وأخلاقه ، وأسلوبه في الدرس ، ومنزعه في الخطابة والوعظ ، وصلته للارحام ، ووفائه للخلان ، وغيرته على الدين ، واهتمامه بامر المسلمين ، وذكر انه لقي في طريقته الوعظية التي جرى عليها في المساجد معارضة من الخرافيين الجامدين فنصره الله عليهم

وأقول ان الخطابة الدينية قد ارتقت في هذه السنين بمصر ارتقاء يبشر بخير عظيم ، فنبغ فيها طائفة من علماء الخطباء العارفين بحال الزمان ، يرجى فيهم الخير الكثير في هداية العوام ، الذين زادهم جهلا على جهلهم ، وضلالا على ضلالهم خطباء الفتنة الذين يلقون على منابرهم خطب الدواوين المعروفة ، وكان فقيدنا رحمه الله تعالى في الذروة منهم ومن عرف كنه ماهبطت اليه الخطابة الدينية في المساجد الاسلامية بموت العلم وافساد الملوك والامراء الفاسقين للعلماء الرسميين ، وانها صارت في هذا العصر مشوهة الاسلام في نظر المتعلمين العصريين ، ومعززة للخرافات في أنفس العوام الجاهلين ، ـ علم ان مثل فقيدنا اليوم خير لدينه وأهل ملته من ألف عالم من هؤلاء المتأخرين الجامدين ، حتى من يعدونهم من كبراء المصنفين ، كالشرقاوي والباجوري والانبابي والسقا واضرابهم . وكتابه في الوعظ والخطابة ورسالة في تاريخ الحديث أنفع من كل تلك المصنفات ودواوين الخطب التي ليس لاحد منهم تحقيق مسألة دينية نافعة فرحمه الله رحمة واسعة ، آمين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿تأخر صدور المنار وكثرة مواده المتأخرة والمنتظرة﴾

عرض لنا في أوائل شهر شوال من العوارض المختلفة عامة وخاصة ما أمسك بيدنا عن كتابة أي شيء للمنار وامتد ذلك الى مابعد عيد النحر ، ولا حاجة إلى بسط العذر ، (وكان أمر الله قدراً مقدورا) وقد سبق لنا مثل هذا مما جعل أول سنة المنار يتأخر عن شهر المحرم الى أن عاد في العام الماضي ، ولنا الرجاء في الله عز وجل ان نصدر في عام ١٣٥٠ اثني عشر جزءا فتعود سنة المنار في ١٣٥١ إلى أول المحرم ونجعل مافات من الشهرين في سنة ١٣٤٩ بدلا من أجازة السنة الجديدة ـ ان أحيانا الله في عافية وسعة بفضله وكرمه وحده كما عودنا

هذا وانه قد كثرت علينا مواد المنار فعاينا في العام الجديد أن نتم مقالات (المساواة بين النساء والرجال) التي كتبنا منها ثلاث عشرة مقالة . وما هو أهم منها من اتمام بحث الربا وما يترتب عليه من أحكام المعاملات المالية في هذا العصر ، وكذا نشر محاضرتنا في موضوع التجديد والمجددين التي ألقيناها في رمضان سنة ١٣٤٨ في نادي الجمعية الجغرافية الملكية ، وكثرت مطالبة الناس لنا بنشرها ، لانها كانت الفاصلة في هذه المسألة التي كان كثر الخوض فيها

ولدينا أيضا موضوع المناظرة في مسائل الخلاف بين أهل السنة والشيعة وقد أرسل الينا الاستاذ السيد عبد الحسين شرف الدين مقالته الاولى فيها ولكنه لم يلتزم فيها ما اشترطناه عليه في جواب اقتراحه المنشورين في هذا الجزء ، ولا بد مع هذا من نشرها وبيان ما نراه في تحرير موضوع المناظرة. وكذا مسألة تنكيل ايطالية باخواننا مسلمي طرابلس وبرقة وهتكها لدينهم وعرض نسائهم

وقد نجم في أواخر العام المنسلخ قرن فتنة جديدة في الاسلام لا بد من تقديم الكتابة في دفع ضررها على كل ماذكر ، وهي أن رجلا جاهلا مغرورا تجرأ على وضع حواشي لكتاب الله تعالى وطبعها مع المصحف الشريف وسماها تفسيرا للقرآن بالقرآن وما هي الا تحريف قبيح يراد به هدم دين الاسلام ، واستبدال دين جديد به . وقد بدأت بتفنيد بدعته التي هي ردة صريحة ، مقرونة بدعاية قبيحة ، بنشر مقالات في جريدة الاهرام التي كانت أول من فتح باب البحث في هذه الموضوع .